

- جاء في أمثلة العرب : " أَصْلَحْ نَفْسَكَ يَصْلُحْ لَكَ  
الناس " (١)



إسلام الطفيل

( أَصْلَحْ نَفْسَكَ وَادْعْ غَيْرَكَ )

وقال أرسطاطاليس :

" أَصْلَحْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ ، يَكُنِ النَّاسُ تَبَعاً لَكَ " (٢) .

وقال أفلاطون :

" مَنْ بَدَأَ بِنَفْسِهِ أَدْرَكَ سِيَاسَةَ النَّاسِ " .

وقال أيضاً : " أَصْلَحُوا أَنْفُسَكُمْ تَصْلَحْ لَكُمْ آخِرَتُكُمْ " (٣) .

\*\*\*

إلى جانب التنكيل والإيذاء استخدم مشركو مكة الوسائل الإعلامية، لمحاولة صد  
الناس عن النبي - ﷺ - .

واشتدت الحملة الإعلامية على الجماعة المسلمة .

وكانت تبلغ هذه الحملة ذروتها أيام الحج، حيث يأتي الأشراف والنوابغ من كل  
حذب وصوب .

وقد نظمت قريش ما يشبه "لجنة إعلامية"، تترصد القادمين إلى مكة، وترسل إليهم  
من يُحذَرهم من الدعوة الإسلامية، وقد قعدوا بكل صراط يصدون عن سبيل الله، فلا  
يكاد الغريب تطأ قدماه أرض مكة فلا يصل إلى الكعبة إلا وقد مر بعملية غسل دماغه  
من قبل هؤلاء الإعلاميين، وقد قاموا بصب الشبهات والترهات والخرافات في عقله  
صباً ..

وكأن الله أراد أن يشق إعلامهم الكاذب، بأن يضم لدعوته شخصية إعلامية عربية  
بارزة، وشاعر أريب لبيب من رواد "ملتقى عكاظ الأدبي"، فكان ذلك اليوم الأسود  
على رءوس المشركين يوم أسلم الطفيل بن عمرو، سيد دوس، وشاعر العرب .

\*\*\*

(١) مجمع الأمثال ٢ / ٤٥٠ .

(٢) مختار الحكم ١٩٣ .

(٣) لباب الآداب ١٩ .

### الدعوة الإسلامية في مواجهة التشويش:

وتبدأ القصة، يوم قدم الطفيل بن عمرو إلى مكة، فمشى إليه رجال من قريش، يتلقفونه بنفث سموهم الفكرية في عقل الطفيل، و"تحصينه" من الدعوة الإسلامية.

فقالوا له :

" يَا طُفَيْلُ ، إِنَّكَ قَدِمْتَ بِلَادَنَا ، وَهَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ أَظْهُرِنَا قَدْ أَعْضَلَ بَنَّا ، وَقَدْ فَرَّقَ جَمَاعَتَنَا ، وَشَتَّتْ أَمْرَنَا ، وَإِنَّمَا قَوْلُهُ كَالسَّحْرِ يُفَرِّقُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ أَبِيهِ ، وَبَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ أَخِيهِ ، وَبَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ زَوْجَتِهِ ، وَإِنَّا نَحْشَى عَلَيْكَ وَعَلَى قَوْمِكَ مَا قَدْ دَخَلَ عَلَيْنَا ، فَلَا تُكَلِّمْنَهُ ، وَلَا تَسْمَعَنَّ مِنْهُ شَيْئًا " (١) .

قال الطفيل محدثاً عن حاله معهم :

"قَوَّالَهُ مَا زَالُوا بِي ، حَتَّى أَجْمَعْتُ أَنْ لَا أَسْمَعَ مِنْهُ شَيْئًا ، وَلَا أَكَلِّمُهُ ، حَتَّى حَشَوْتُ فِي أُذُنِي - حِينَ عَدَوْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ - كُرْسُفًا ، فَرَقًّا مِنْ أَنْ يَلْغَنِي شَيْءٌ مِنْ قَوْلِهِ ، وَأَنَا لَا أُرِيدُ أَنْ أَسْمَعَهُ " (٢) .

وهكذا تأثير الإعلام، الذي يفعل الأفاعيل بالعقول، فبمثل هذا الطرح يتحول الحق إلى باطل في نظر الناس، ومن خلال وسائل الإعلام يرى الناس الفيل بحجم النملة، والنملة بحجم الفيل . وإذا أُحسن استخدام وسائل الإعلام؛ فهي كالشمعة في يد العاقل يضيء بها، وإذا أُسيء استخدام وسائل الإعلام فهي كالشمعة - أيضًا - ولكن في يد المجنون يحرق بها .

ومن ثم فإن على الجماعة المسلمة أن تصبر وأن تثبت، وأن تحسن التصرف في مواجهة الإعلام المُضِلِّ، وأن تحسن التعامل مع ضحايا هذا الإعلام . فالساذج المَرَقَّعان الأخرق الذي ينظر إلى الجماعة المسلمة على أنها عصابة متطرفة إرهابية .. ينبغي أن نتعامل معه على أنه ضحية من ضحايا وسائل التشويه، فلنحسن التعامل معه، ولنتخلق معه بأحسن الأخلاق، وأكارم الفعال، لعل الله أن يمسح على قلبه فيزيل وحلة الإعلام المفسد، وينقذه من بين عجاجتي الإعلام الفاسد والووعي الغائب.

(١) ابن هشام : ١ / ٣٨٢ .

(٢) ابن هشام : ١ / ٣٨٢ .



عجائب القدرة الإلهية في مواجهة الحملات الإعلامية:  
قال الطزيل بن عمرو:

" فَعَدَوْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - قَائِمٌ يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ . فَقُمْتُ مِنْهُ قَرِيبًا فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُسْمِعَنِي بَعْضَ قَوْلِهِ . قَالَ فَسَمِعْتُ كَلَامًا حَسَنًا قَالَ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : ثَكَلْتَنِي أُمِّي لَوْ أَنَّ اللَّهَ إِنِّي لَرَجُلٌ لُبِيبٌ شَاعِرٌ ، مَا يُخْفَى عَلَيَّ الْحَسَنُ مِنَ الْقُبْحِ ، فَمَا يُمْنَعُنِي أَنْ أَسْمَعَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ مَا يَقُولُ فَإِنْ كَانَ الَّذِي يَأْتِي بِهِ حَسَنًا قَبِلْتُهُ وَإِنْ كَانَ قُبْحًا تَرَكْتُهُ " (١) .

وهنا نرى قدر الله، وكيف يفتح الله مغاليق القلوب بيديه، وهي القلوب التي خلقها ويقلبها كيف يشاء، وقد شَعَرَ الرجل بهذه القدرة الربانية تتسلل إلى قلبه رويدًا رويدًا تسلل النور في حالك الظلمات، فقال: " فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُسْمِعَنِي بَعْضَ قَوْلِهِ " .  
ويأبى الله إلا أن يتم نوره، ويرسل أشعة الإسلام إلى قلوب غبرتها وسائل التضليل، وإلى نفوس تربت رزحًا من الزمان على مناهج الفساد والإفساد، وإلى أجساد كَبُرَتْ و شابت بين ظهрани المضللين والأفاكين .

وكم نرى من شباب قد انغمسوا في حمئة الضلال حتى ظن العدو أنه أعدهم معاول هدم في بناء الإسلام، وإذا بيد الله الرحيمة تأخذ بهم وتحملهم حملاً إلى ركب الدعوة ليكونوا عوامل بناء فيها .

وكم نرى وسائل الإعلام الغربية تستهدف بعض بلدان العالم الإسلامية، لمحاولة إفساد المرأة المسلمة وتجريدها من أخلاقها وحجابها، ولكن يأبى الله إلا أن يقيض لهذه البقعة رجالاً - اصطنعهم الله لنفسه - فَيَجْبُوا ما صنعه الإعلام الغربي، وينفوا عن البلد الإسلامي ما نفته الإعلام الصهيوني، وتبقى الصحوة الإسلامية زاحفة كالفيلق الدارع، تنشر نور الله في كل مكان .

\*\*\*

الله يختار لدعوته :

قال الطزيل :

" فَمَكَّثْتُ حَتَّى انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِلَى بَيْتِهِ ، فَاتَّبَعْتُهُ حَتَّى إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ ؛

\*\*\*السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ\*\*\*

دَخَلْتُ عَلَيْهِ؛ فَقُلْتُ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ قَالُوا لِي كَذًا وَكَذَا، لِلَّذِي قَالُوا، فَوَاللَّهِ مَا بَرِحُوا يُخَوِّفُونَنِي أَمْرَكَ حَتَّى سَدَدْتُ أُذُنِي بِكَرْسُفٍ [أي بقطن] لِئَلَّا أَسْمَعَ قَوْلَكَ، ثُمَّ أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُسْمِعَنِي قَوْلَكَ، فَسَمِعْتُهُ قَوْلًا حَسَنًا، فَأَعْرَضَ عَلَيَّ أَمْرَكَ" (١).

وهكذا، كما ترى، يدفع الله بهؤلاء إلى باب الداعية، ويقوم الطفيل بنفسه بالذهاب إلى بيت رسول الله - ﷺ -، ليناقش - أمر الدعوة - بطريقة عقلانية موضوعية، على الطريقة المعهودة عند الأدباء العقلاء والشعراء الحصفاء.

أما ترى أن مجهودات المشركين الإعلامية قد ذهبت أدراج الرياح، وقد تلقف الداعية هذه الثمرة الحلوة سهلة، إنها يد الله أهدتها إلى الداعية المخلص!

إن قارورة الصَّبْغ لا تصبغ البحر، ونفخات البشر لا تحرك القمر، ومهما نفخوا في أبواق (إعلامهم) فإن الدائرة عليهم!

وإن نَبَأَةَ الحق لا بد أن تُسمع!

وإن منهج الله لا بد أن يعود، ويسود، ويقود.

\*\*\*

**بداية الهداية :**

**قال الطفيل :**

"فَعَرَضَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - الْإِسْلَامَ وَتَلَا عَلَيَّ الْقُرْآنَ، فَلَا، وَاللَّهِ! مَا سَمِعْتُ قَوْلًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ، وَلَا أَمْرًا أَعْدَلَ مِنْهُ."

إنه حسُّ الأديب الهبرزي المصقِّع، يميز جيدًا بين حلو الكلام ومرة، وبين زين الأدب وشينه، وبين سلامة البيان وركاكته.

لقد استمع إلى القرآن، ثم أنصت إليه، ثم عايشه بقلبه، وفي مجلس واحد، وفي ساعة واحدة، حَكَمَ حكمه البلاغي وكأنها أخذته نشوة الناقد الأدبي، فقال :

"مَا سَمِعْتُ قَوْلًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ"

إن جزالة النظم وحلاوة العرض وسمو البيان قد ملكت عليه لُبُه، فهام الأديب في حُب القرآن، وتالله! ما رأيت أديبًا لبيبًا إلا وله مع القرآن ألفة، وحب لا يضاهيه حب، وإن الأدباء الأتقياء ليتلذذون بالقرآن وكأنها هم العباد المتحشّين في صوامعهم.



هكذا المسلم، يعيش للإسلام، متعلماً ومعلماً، صالحاً ومصلحاً، ينهل من الخير وينشره، ويعمل على تأديب نفسه وتزكيتها ويعمل - كذلك - في تأديب غيره وتزكيته. وإن هذه القصة، لدليل دامغ على من انشغلوا بطلب العلم عن إصلاح المجتمع، فإذا تحدثت إلى أحدهم تدعوه إلى المشاركة في الإصلاح وتغيير المنكر في المجتمع؛ لطمك بنص يمتطيه، ليبرر قعوده، وليزين تخاذله. أما علموا أن تغيير المنكر فريضة كطلب العلم؟!

أما علموا أن الطفيل انتقل فور إسلامه إلى قومه يدعوهم؟ فلم يمكث إلى جوار رسول الله - ﷺ - السنين الطوال، يحفظ المتون الطوال، أو تنقل من حلقة علم إلى حلق علم، ومن مسجد إلى مسجد، ومن شيخ إلى شيخ، وقد تلهى بذلك عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإصلاح الأهل والمجتمع !

\*\*\*

البيت المسلم

قال الطفيل :

" فَلَمَّا نَزَلْتُ [ أي دوساً ] أَتَانِي أَبِي ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا ، فَقُلْتُ : إِلَيْكَ عَنِّي يَا أَبَتِ فَلَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتُ مِنِّي ، قَالَ : وَلَمْ يَا بُنَيَّ ؟ قُلْتُ : أَسَلَّمْتُ وَتَابَعْتُ دِينَ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : أَيُّ بُنَيِّ فِدِينِي دِينُكَ ؟

فَذَهَبَ فَاعْتَسَلَ وَطَهَّرَ ثِيَابَهُ . ثُمَّ جَاءَ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ ، فَأَسْلَمَ . ثُمَّ أَتَنِي صَاحِبَتِي ، فَقُلْتُ : إِلَيْكَ عَنِّي ، فَلَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتُ مِنِّي ، قَالَتْ لَمْ ؟ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ! قُلْتُ : قَدْ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ الْإِسْلَامُ ، وَتَابَعْتُ دِينَ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَتْ : فِدِينِي دِينُكَ .

قُلْتُ : فَادْهَبِي إِلَى حِمِّي ذِي الشَّرَى فَتَطَهَّرِي مِنْهُ . وَكَانَ ذُو الشَّرَى صَبًّا لِدَوْسٍ ، وَكَانَ الْحِمَى حِمَّى حَمَوُهُ لَهُ ، بِهِ وَشَلٌّ مِنْ مَاءٍ يَهْبِطُ مِنْ جَبَلٍ .

قالت: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، أَتَخْشَى عَلَى الصَّبِيَّةِ مِنْ ذِي الشَّرَى شَيْئًا ؟

قُلْتُ : لا ، أَنَا ضَامِنٌ لِدَلِكْ .

فَذَهَبْتُ فَأَغْتَسَلْتُ ثُمَّ جَاءَتْ فَعَرَضْتُ عَلَيْهَا الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمَتْ" (١) ..

وهكذا بهذه الصراحة والوضوح بدأ الطفيل في دعوته، فلم يتلون، ولم يتشكل، ولم يمتطي الرُخَص من هنا وهناك، بل أخذ بعزيمة النفس متوكلاً على الله، فإذا به يجهر بين ظهري أهله بقوله الحق وبمنهج الحق، ليبين البيت المسلم الجديد على أنقاض بيت وثني عتيد .

وإن وضع العزم، ضعيف الحزم، لا مساك له في أمر الدعوة، ولا فلاح له في تقويم بيته، وأسلمة داره .

ألا حبذا قومٌ ندأما هم القنا ... يسقونها رياءً وساقبهم العزم

\*\*\*

المجتمع المسلم

قال الطفيل :

ثُمَّ دَعَوْتُ دَوْسًا إِلَى الْإِسْلَامِ، فَأَبْطَأُوا عَلَيَّ ! ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - بِمَكَّةَ فَقُلْتُ لَهُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّهُ قَدْ غَلَبَنِي عَلَى دَوْسِ الزَّنا، فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ .  
فَقَالَ: (اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا .. ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَادْعُهُمْ وَارْفُقْ بِهِمْ) . (٢)

فبعد أن أعد الطفيل - ذلك الفرد المسلم - البيت المسلم الجديد، خرج على التو إلى المجتمع لبناء المجتمع المسلم، فقال :  
"ثُمَّ دَعَوْتُ دَوْسًا إِلَى الْإِسْلَامِ" .

ومثل هذه الأولويات لابد أن تكون واضحة في ذهن المسلم، فلا يليق به أن ينشغل بالمجتمع ويترك بيته دون تربية ودعوة، فلا بد أن ينطلق المسلم إلى المجتمع من أرضية قوية هي البيت المسلم، وغالبًا لا نرى ثمرة ولا فقه هؤلاء الدعاة الذين انشغلوا بدعوة المجتمع وبيوتهم خربة، إذ كيف يبني بيوتًا مسلمة في المجتمع وقد فشل في تقويم بيته، وكيف يستقيم الظل والعود أعوج .

(١) ابن هشام : ٣٨٣ / ١ .

(٢) ابن هشام : ٣٨٣ / ١ .

ثم إن الطفل، كان في احتياج إلى جرعة تربوية في الصبر على المجتمع . إذ غلبه فساد المجتمع . واشتكى الطفل أن الزنى منتشرٌ بشكل مريع، ولا شك أن الزنى إذا انتشر في قوم فإنما هو الموت ينتشر فيهم .

كما أن الشباب الغارق في الجنس، وهو شبابٌ في السن، كهلٌ في الجسم، مترضض في الروح، وترى الواحد منهم قد التاث بلوثة الميوعة، والتجّ في وحلة الخنوثة، يقطع سراً نهاره في كل ما يؤجج الشهوة، ويثير الغريزة، وأمثال هؤلاء أشباه أحياء أو أشباه أموات . ولا قوام لأمة داعرة، ولا مساك لدولة فاجرة!!!

ذهب الطفل متغيظاً على دعوة الله، يستنزل العقاب على قومه الذين أكلتهم الفواحش، فقال : "يا نبي الله إنه قد غلبني على دوس الزنا، فادع الله عليهم" .  
فيرسل رسول الله ﷺ - دعاء ربانياً، ودرساً تربوياً.

أما الدعاء ( اللهم اهد دوساً.. )

وأما الدرس : ( ارجع إلى قومك فادعهم، وارفق بهم ) .

إنه درس الصبر على المجتمع والرفق بالمجتمع، فالداعية العامل في المجتمع يطير بجناحي الصبر والرفق، ينشر الهداية والنور، ولن ترى داعية ناجحاً في مجتمع إلا بصبر ورفق .

\*\*\*

ثمررة العمل مع المجتمع :

قال الطفيل :

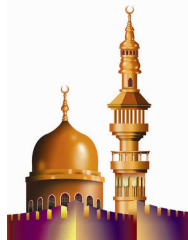
" فَلَمْ أَرَلْ بِأَرْضِ دَوْسٍ أَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، حَتَّى هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَمَضَى بَدْرٌ [ ٢هـ ] وَأُحُدٌ [ ٣هـ ] وَالْخُنْدُقُ [ ٥هـ ] ، ثُمَّ قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - بِمَنْ أَسْلَمَ مَعِيَ مِنْ قَوْمِي ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ - بِخَيْرٍ [ ٧هـ ] . حَتَّى نَزَلْتُ الْمَدِينَةَ بِسَبْعِينَ أَوْ ثَمَانِينَ بَيْتًا مِنْ دَوْسٍ ، ثُمَّ لَحَقْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ - بِخَيْرٍ فَأَسْهَمَ لَنَا مَعَ الْمُسْلِمِينَ " (١) .



إلى كم ذا التخلف والتواني ... وكم هذا التماذي في التماذي؟  
وشغل النفس عن طلب المعالي ... يبيع الشعر في سوق الكساد

١- اجمعْ دوماً بين الفضيلتين، إصلاح النفس وإصلاح  
الغير، وليراك الله داعيةً في نفسك، وداعيةً في بيتك، وداعيةً في  
مجتمعك .

٢- تعهد أسرتك بالنصح والتعليم؛ وليكن لك معهم  
جلسة أسبوعية تدارسهم فيها الدين.





## مقابلة

## بني تنبيان

في أوج معمعة التنكيل بالمسلمين برمضاء مكة،

وبعد وفاة العم والزوج، وبعد رحلة مُرة إلى

الطائف؛ كان رسول الله - ﷺ - يعرض نفسه على

القبائل، في موسم الحج، كان يمر على الجماعات في الأسواق،

ومواسم الحج، ولا يترك شريقاً معروفاً ولا شاعراً مشهوراً

ولا حكيماً مُطاعاً إلا عرض عليه الإسلام . وكان قد ركز

جهده في السنوات الثلاث الأخيرة قبل الهجرة على البحث عن وطن جديد يكون مقر

دولة الإسلام؛ يحتضن الدعوة والداعية؛ حتى تتم رسالة الله . وكان يقول هو يدور

على الناس - صلوات الله وسلامه عليه - :

« مَنْ يُثَوِّنِي ؟ مَنْ يُصَرِّفُنِي ؟ حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي ، وَلَهُ الْجَنَّةُ » (١) .

\*\*\*

وكانت له مقابلة تاريخية - أطنب فيها الباحثون - مع قبيلة بني شيبان، تلك القبيلة

العربية التي حالفت الفرس، على ألا يأووا مُحدثاً.. تلك القبيلة العربية القوية التي

احتضنت ثلة من نوابغ العرب كانوا من أبنائها، أمثال : المشنى بن حارثة الشيباني،

وهانئ بن قبيصة، وكان من نسل هذه القبيلة فيما بعد الإمام أحمد بن حنبل - إمام أهل

السنة - ويزيد بن مزيد وغيرهم من العلماء والقادة..

إذن نفق وقفة إجبار وإجلال عند حصافة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -

نسابة العرب - عندما اقترح على رسول الله - ﷺ - أن يعرض الدعوة على بني شيبان.

فقال أبو بكر للنبي - ﷺ - :

" بآبي وأمي، هؤلاء غُرر الناس، وفيهم (مفروق) قد غلبهم لساناً وجمالاً " (٢) .

أي : بآبي أنت وأمي يا رسول الله - صلى الله عليك - هؤلاء بنو شيبان من أكابر

العرب وأحسنهم، وزعيمهم " مفروق " يفضلهم حكمة وجمالاً.

ومن ثم توجه أبو بكر برسول الله - ﷺ - إلى مخيم بني شيبان في عرصات الحج.

(١) أخرجه أحمد (٣٠ / ٣٦٤)، وهو في السلسلة الصحيحة (٦٤) .

(٢) البداية والنهاية ٣ / ١٤٣ .

﴿ ودار هذا الحوار الماتع:

﴿ تقدم أبو بكر فسلم فقال: من القوم؟

﴿ قالوا: شيان بن ثعلبة

﴿ فقال أبو بكر: كيف العدد فيكم؟

﴿ فقال مضروق: إنا لا نزيد على الألف ولن تغلب ألف من قلة.

﴿ فقال أبو بكر: وكيف المنعة فيكم؟

﴿ فقال مضروق: إنا لأشد ما نكون غضباً حين نلقى. وأشد ما نكون لقاء حين نغضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح، والنصر من عند الله يدينا مرة، ويديل علينا أخرى .. لعلك أخو قريش؟

﴿ فقال أبو بكر: إن كان بلغكم أنه رسول الله - ﷺ - فهذا هو ذا !

﴿ فقال مضروق: إلام تدعوننا يا أخا قريش؟

﴿ فقال رسول الله - ﷺ - : « أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأني عبد الله ورسوله، وإلى أن تؤووني وتنصروني، فإن قريشاً قد تظاهرت على الله، وكذبت رسوله، واستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغني الحميد»

﴿ فقال مضروق، وإلام تدعو أيضاً يا أخا قريش؟ فوالله ما سمعت كلاماً أحسن من هذا .

فتلا رسول الله ﷺ: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَن تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِلَيْنِ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥١]

﴿ فقال مضروق: دعوت والله إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ولقد أفك قوم كذبوك، وظاهروا عليك ..

﴿ ثم رد الأمر إلى هاني بن قبيصة فقال: وهذا هاني شيخنا، وصاحب ديننا.

**فقال:** وهذا المشني شيخنا وصاحب حربنا!

✍ **فقال المثنى - وأسلم بعد ذلك -** : قد سمعت مقاتلك يا أخا قريش ،  
والجواب فيه جواب هانيء بن قبيصة ، في تركنا ديننا ومتابعتنا دينك وإنا إنما نزلنا بين  
صَرَين أحدهما الليامة والآخر السَّامة !

✍ **فقال له رسول الله - ﷺ :- «ما هذان الصريان»؟؟**

❦ **قال:** أنهار كسرى، ومياه العرب، فأما ما كان من أنهار كسرى، فذنب صاحبه غير مغفور، وعذره غير مقبول، وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى، أن لا يحدث حدثاً ولا نؤوي محدثاً، وإني أرى هذا الأمر الذي تدعوننا إليه يا أخا قریش مما تكره الملوك، فإن أحببت أن نؤويك وننصرک مما يلي مياه العرب، فعلنا.

﴿ فقال رسول الله - ﷺ - قولته التي أبان فيها سمة أساسية من سمات منهج الله، وعمدة عميدة من عماد النظام الإسلامي، أنه شاملٌ لكل مجالات الحياة، وأنه جزء واحد لا يتجزأ:

«ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق، وإن دين الله عز وجل لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه، رأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله تعالى أرضهم وديارهم ويفرشكم نساءهم، أتسبحون الله وتقدسونه؟» فقال النعمان بن شريك: اللهم فلك ذاك<sup>(١)</sup>.

✍ لماذا رفض رسول الله ﷺ - هذه الفرصة؟

إنها فرصة بكل المقاييس، أن يرى المستضعفون أنصاراً لهم على أتم الاستعداد أن يدفعوا عنهم ظلم ظالمهم من العرب، علماً بأن المستضعفين لا يشغلهم أمر الفرس في الوقت الراهن على الأقل ..

(١) انظر: البداية والنهاية (٣/ ١٤٣ - ١٤٥).

ألف فارس عربي من بني شيان الأبطال في تمام التجهيز، في أتم الاستعداد لضرب قريش !

ولكن لماذا رفضت يا رسول الله ؟

لا شأن لنا الآن بفارس أو كسرى، وعدونا في وقع الأمر هو ذلك الوثني القابع في مكة، الصاد عن سبيل المؤمنين، الذي ألهب ظهور المسلمين، وحرّق جلود المستضعفين في ساحات مكة، وقتل الضعفاء أمثال سمية وياسر، وهجر الموحدين إلى وسط أفريقيا .. !

ولم لا نرحل إلى بني شيان، فنهاجر إليهم حتى إذا قويت شوكتنا على العرب، أو كره الفرس مقامنا بين إخواننا من بني شيان، انتقلنا إلى ركن آخر ركين، فنحنونا من سياط العرب وأعدنا العدة !!!

.....

.....

لعل هذه تساؤلات تدور بخلد القارىء !

**والحق أن رسول الله ﷺ - رفض عرض بني شيان لعدة أسباب :**

١- أنه لا أنصاف حلول في الأصول، فالإسلام نظام شامل، لا يقوم إلا شاملاً، فمن ينصره على العرب لا بد أن ينصره على العجم، وإلا فلن ينتصر أبداً، ويصير بدداً !  
٢- أن الجهاد الصادق المتجرد، جزء لا يتجزء من الإسلام، فكما لا يصح إسلام قوم تعاهدوا على صلاة الظهر دون العصر، فكذلك لا يصح إسلام قوم تعاهدوا على الجهاد في وجه دون آخر .. فالصلاة وحدة واحدة لا تتجزء، وكذلك الجهاد..

٣- أن الحصافة السديدة وبعد النظر، يقتضيان رفض عرض بني شيان، فلقد قالوا بصريح العبارة أنهم على استعداد أن يقفوا في وجه العرب لحمايتهم بيد أنهم لا يستطيعون ذلك مع الفرس، فلعل الدائرة تدور، فينتقل المسلمون من جحيم العرب إلى جحيم الفرس، فيستغيث المسلم بالنار من الرمضاء .. فيجمع المسلمون على أنفسهم عدوين، إذ كيف يكون الحال لو طلب كسرى من بني شيان " تسليم محمد " ؟ !

من حاطه من جميع جوانبه ؟

إِذَنْ؟ .. من الذي سينصر دين الله؟

ومن الذي سيقم نظام الإسلام في الأرض؟

ومن الذي سيطبق الشرع الإسلامي السمع؟

ومن الذي سينصر الإسلام؟

~~نعم~~ ..

"من حاطه من جميع جوانبه" !

فكل فرد حاط الإسلام من جميع جوانبه، عقيدة، وعبادة، ومعاملات، وأخلاق، وفكر، وحركة، ودعوة، وجهاد- فهو ناصر لدين الله قائم على شرعه، وهو أحق الناس بالتمكين .

وكل دولة حاطت الإسلام من جميع جوانبه، في العقيدة والعبادة، في الأخلاق والمعاملات، في السياسة والسلطة، في الرحمة والعدل، في العلم والقضاء، في التجارة والاقتصاد، في الجهاد والجيش .. ولم تفصل بين الإسلام والسياسة - فالسياسة جزء من الإسلام -، ولم تفصل بين الإسلام والاقتصاد - فالإقتصاد جزء من الإسلام كذلك -، ولم تفصل بين الإسلام والتربية - فالتربية جزء من الإسلام أيضًا - .... ولم تفصل الإسلام عن الحياة، أو الحياة عن الإسلام، فالإسلام منهج الحياة، والحياة لا تصلح دون الإسلام .

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ قَالَ

رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنتَكَ ءَايَتُنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْشِئُ

[طه: ۱۲۴].

"إِنَّ دِينَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَنْ يَنْصُرَهُ إِلَّا مَنْ حَاطَهُ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ"

فلا فائدة من تلك الدعوات الجزئية، والحركات المختلفة، التي اجتازت الإسلام، فتشبثت بجزء من الإسلام ونامت عن جزء، أو أحييت جزءاً وأماتت جزءاً آخر، فهذه الدعوات أفادت وأضررت، وأصابت وأخطأت، وقدمت وأخرت، وذلك لأنها لم تحط بالإسلام من جميع جوانبه.

فمن هذه الدعوات من جعلت من الإسلام مجرد تعاويد وتصوف .  
ومن هذه الدعوات من جعلت من الإسلام هجرة وانقلاباً، وتكفيراً وتفسيقاً .  
ومن هذه الدعوات من جعلت من الإسلام متوناً تُحفظ، وكتباً تُدرس، ولا  
اجتهاد، وأخذت تحفظ الناس : لم يُبق الأول شيئاً للآخر، وكل شر في اتباع من خلف .  
ومن هذه الدعوات من جعلت الإسلام فِرَقاً ومذاهب، وفتناً وملاحم، وليس لنا  
من الأمر شيء سوى انتظار المهدي المنتظر، والمجدد المعترف، وما علينا من واجب سوى  
أن نعص بجزع شجرة، ونعتزل الناس والفجرة، فالعالم يموج بفتن عمياء، وحرب  
صماء، وقصور مشيدة وآبار معطلة، ونساء عاريات، وليال ماجنات ..  
وبين هذه الدعوات والفرق والملل، نرى رسول الله - ﷺ - يرسم بيده الكريمة  
خطوطاً يمنية ويسرة، ثم يضع يده الطاهرة على الخط الأوسط منادياً :  
"هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ !!"

﴿ثم تلا هذه الآية الكريمة :

"وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ" (١).

﴿ أدلة الشمولية :

وهذه بعض أدلة الشمولية من كتاب الله تعالى وسنة رسوله - ﷺ -

﴿ إياك نستعين :

قال الله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]

فلا عبادة إلا لرب العالمين، ولا استعانة إلا له سبحانه.

وتقديم المفعول "إياك"، يفيد الحصر، أي لا معبود إلا الله، ولا مستعان إلا الله،

فلو قال : "أعبدك" لجاز للعبد أن يعبد غيره .

إياك نعبد .. هذا في مجال الدين .

وإياك نستعين .. هذا في مجال الدنيا .

وهكذا نقرأ "مبدأ شمولية الإسلام" في أول سورة وأعظم سورة .

(١) أخرجه ابن ماجه (١١)، من حديث جابر، وصححه الألباني .











العلّة من إنزال الكتاب :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَكَ اللَّهُ ﴾ [النساء: ١٠٥] وتأمل : لم يقل بما رأيت أنت .

الصفة الأولى لمن ترك الشريعة :

قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤]

قال سيد قطب - رحمه الله - :

بهذا الحسم الصارم الجازم . وبهذا التعميم الذي تحمله « من » الشرطية وجملة الجواب . بحيث يخرج من حدود الملابس والزمان والمكان ، وينطلق حكماً عاماً ، على كل من لم يحكم بما أنزل الله ، في أي جيل ، ومن أي قبيل . . .  
وعلة ذلك أن الذي لا يحكم بما أنزل الله ، إنما يرفض ألوهية الله . فالألوهية من خصائصها ومن مقتضاها الحاكمية التشريعية .  
ومن يحكم بغير ما أنزل الله ، يرفض ألوهية الله وخصائصها في جانب ، ويدعي لنفسه هو حق الألوهية وخصائصها في جانب آخر . .

وماذا يكون الكفر إن لم يكن هو هذا وذاك ؟

وما قيمة دعوى الإيمان أو الإسلام باللسان ، والعمل - وهو أقوى تعبيراً من الكلام - ينطق بالكفر أفصح من اللسان ؟!

"إن المماحكة في هذا الحكم الصارم الجازم العام الشامل ، لا تعني إلا محاولة التهرب من مواجهة الحقيقة . والتأويل والتأول في مثل هذا الحكم لا يعني إلا محاولة تحريف الكلم عن مواضعه . . وليس لهذه المماحكة من قيمة ولا أثر في صرف حكم الله عمّن ينطبق عليهم بالنص الصريح الواضح الأكيد " (١) .

الصفة الثانية لمن ترك الشريعة :

قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥] .

قال سيد قطب - رحمه الله - :

" وهذا الوصف الجديد لا يعني أنها حالة أخرى غير التي سبق الوصف فيها بالكفر . وإنما يعني إضافة صفة أخرى لمن لم يحكم بما أنزل الله . فهو كافر باعتباره

(١) في ظلال القرآن، تفسير سورة المائدة ، الآية ٤٤ .

\*\*\*السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ\*\*\*

رافضاً لألوهية الله - سبحانه - واختصاصه بالتشريع لعباده ، وبادعائه هو حق الألوهية بادعائه حق التشريع للناس . وهو ظالم بحمل الناس على شريعة غير شريعة ربهم ، الصالحة المصلحة لأحوالهم<sup>(١)</sup>.

❖ **الصفة الثالثة لمن ترك الشريعة :**

قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٧]

❖ **قال سيد قطب - رحمه الله - :**

" وصفة الفسق تضاف إلى صفتي الكفر والظلم من قبل . وليست تعني قوماً جددًا ولا حالةً جديدة منفصلة عن الحالة الأولى . إنما هي صفةٌ زائدة على الصفتين قبلها ، لاصقةً بمن لم يحكم بما أنزل الله من أي جيل ، ومن أي قبيل .

الكفر برفض ألوهية الله ممثلاً هذا في رفض شريعته . والظلم بحمل الناس على غير شريعة الله وإشاعة الفساد في حياتهم . والفسق بالخروج عن منهج الله واتباع غير طريقه . . فهي صفات يتضمنها الفعل الأول ، وتنطبق جميعها على الفاعل . . ويؤء بها جميعاً دون تفريق"<sup>(٢)</sup>.

❖ **لا تقدموا قانوناً على قانون الله :**

قال الله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [الحجرات: ١]

أي لا تقدموا حكماً على حكم الله ، وأمرًا على أمر الله ، أو قانوناً على قانون الله .

❖ **السؤال عن أعمال الدين :**

قال الله تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١٢) ﴿ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣]

عما كانوا يعملون في مجالات الحياة جميعها ، من إصلاح وإفساد ، ومن استقامة وانحراف ، من عدل وظلم ، من حق وباطل . . في خاصتهم وعامتهم ، الكبير والصغير ، الحاكم والمحكوم ، والقائد والمقود . .

❖ **المحيا والممات لله :**

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٣) ﴿ لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ

وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣] .

(١) في ظلال القرآن ، سورة المائدة ، الآية ٤٥ .

(٢) في ظلال القرآن ، سورة المائدة ، الآية ٤٧ .



يبدوا أن العلمانيين كانوا في عهد شعيب !  
هؤلاء يقولون : هل تعاليم دينك يا شعيب تأمرك أن نترك الغش وأكل الأموال بالباطل.

#### قال صاحب الظلال :

"فهم لا يدركون أولاً يريدون أن يدركوا أن الصلاة هي من مقتضيات العقيدة ، ومن صور العبودية والدينونة . وأن العقيدة لا تقوم بغير توحيد الله ، ونبذ ما يعبدون من دونه هم وآباؤهم ، كما أنها لا تقوم إلا بتنفيذ شرائع الله في التجارة وفي تداول الأموال وفي كل شأن من شؤون الحياة والتعامل . فهي لحمية واحدة لا يفترق فيها الاعتقاد عن الصلاة عن شرائع الحياة وعن أوضاع الحياة"<sup>(١)</sup>.

"يحسن أن نذكر أن الناس اليوم لا يفترقون في تصورهم ولا في إنكارهم لمثل هذه الدعوة عن قوم شعيب . وأن الجاهلية التي نعيش فيها اليوم ليست أفضل ولا أذكى ولا أكثر إدراكاً من الجاهلية الأولى ! وأن الشرك الذي كان يزاوله قوم شعيب هو ذاته الشرك الذي تزاوله اليوم البشرية بجملتها بما فيها أولئك الذين يقولون : إنهم يهود أو نصارى أو مسلمون فكلهم يفصل بين العقيدة والشعائر . والشريعة والتعامل . فيجعل العقيدة والشعائر لله ووفق أمره ، ويجعل الشريعة والتعامل لغير الله ، ووفق أمر غيره . . وهذا هو الشرك في حقيقته وأصله . ."<sup>(٢)</sup>.

#### الخلوة أم الجهاد ؟

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ - مَرَّ بِشُعْبٍ فِيهِ عَيْنٌ عَذْبَةٌ ، فَأَعْجَبَتْهُ - يَعْنِي طَيْبَ الشُّعْبِ - فَقَالَ : لَوْ أَقَمْتُ هَاهُنَا وَخَلَوْتُ ، ثُمَّ قَالَ : لَا حَتَّى أَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ - فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ :

"مُقَامٌ أَحَدَكُمْ - يَعْنِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ - خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ أَحَدِكُمْ فِي أَهْلِهِ سِتِّينَ سَنَةً ، أَمَّا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَتَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ؟ جَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ! مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُؤَادًا نَاقَةً وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ"<sup>(٣)</sup>.

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن ( ٤ / ٢٦٠ ) .

(٢) سيد قطب : في ظلال القرآن ( ٤ / ٢٦٠ ) .

(٣) أخرجه أحمد ( ٩٧٦٢ ) ، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة ، برقم ٩٠٢ .





كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنَّ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٌ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿ [النساء: ١١] .

#### وفي المهر ..

﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنَيْئًا مَرِيئًا ﴾ [النساء: ٤] .

#### وفي العلاقة بين اليتيم والولي ..

﴿ وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبْدَلُوا الْحَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾

[النساء: ٢] .

#### وفي الديون وتوثيقها ..

#### ونزل في ذلك أطول آية في القرآن :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ ﴿ [البقرة: ٢٨٢] .

#### وفي التجارة ..

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخْبَطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

[البقرة: ٢٧٥] .

#### وفي المعاهدات السياسية ..

﴿ وَإِنَّمَا تَخَافَنْ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾

[الأنفال: ٥٨] .

﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٤] .



(١) الطبراني (الكبير)، عن عبد الله، وصححه الألباني، انظر حديث رقم: ٣٩١٣ في صحيح الجامع

١- أن تستشعر دومًا هذه الآية الكريمة: ﴿قُلْ إِنْ

صَلَاتِي وَنُكْحِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ،  
وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

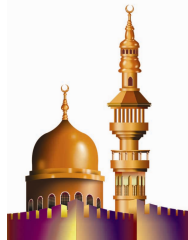


٢- أن تُبلغ للناس دعوة الله شاملة كاملة، وأن ترسخ  
هذا المفهوم العظيم: "الإسلام منهج حياة"، وأن تمشي - ما  
حييت - خلف الكتاب والسنة بفهم الصحابة والتابعين،  
﴿وَالسَّيْقُوتَ الْأُولَى مِنَ الْمُهْجَرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ

اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

٣- أن تلتزم بالمنهج الإسلامي الشامل، وأن تجعل من رسول الله ﷺ - قدوة  
وأُسوة لك في نفسك وبيتك ومجتمعك: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن  
كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]

٤- أن تكتب لوحةً فوق إحدى الواجهات، تقول: "الإسلام منهج حياة".  
٥- أن تنشر حديث: "لَيَنْفَضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةُ عُرْوَةٍ فَكُلَّمَا انْتَفَضَتْ عُرْوَةٌ  
تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالتِّي تَلِيهَا وَأَوَّلُهُنَّ نَقْضُ الْحُكْمِ وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ" (١).



...كانت السنوات الثلاثة الأخيرة في المرحلة المكية

[ سنة ١١، ١٢، ١٣ من البعثة ]؛ تكاد تكون موجهة

لتحقيق هدف واحد، هو، البحث عن وطن جديد؛  
تنطلق منه الدولة والدعوة .

واشتد الأذى الإعلامي من الوثنية . وطفق المشركون  
يتبعون خطوات رسول الله - ﷺ - في مواسم الحج؛ يسفهنه

## بين خيام الحجاج

ويحذرون القبائل منه .

### همة عالية وتوكل عظيم :

أما هو، فلم يتعب ولم يمل . عرض نفسه على قبيلة بني عامر؛ فأبوا . عرض نفسه  
على قبيلة غسان؛ فرفضوا . عرض نفسه على بني فرارة؛ فأعرضوا، التقي بني مرة،  
التقى بني حنيفة، التقى بني سليم .. بني عبس، بني نصر، ثعلبة بن عكابة، وكندة،  
وكلب، وبني الحارث بن كعب، وبني عذرة ... قابل هؤلاء وغيرهم؛ فأبوا أن  
ينصروه، بل منهم من ضربه، ومنهم من نهره . فلله درها من همة ! والله دره من قلب  
حي لا ينام عن طلب المعالي :

### قال أبو الطيب - من الطويل - :

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ      وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ  
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا      وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ

وهؤلاء الذين دعاهم النبي - ﷺ - تملصوا منه على طرائق شتى؛ فمنهم من تهربوا  
وتعللوا بمواثيق ومعاهدات - مثل شيبان - كما أشرنا .

ومنهم من ساوموه؛ أن يجعل السلطان فيهم من بعده، مثل كنده . وقد قالوا له : إن  
ظفرت تجعل لنا الملك من بعدك ؟

فقال رسول الله - ﷺ - : " إن الملك لله يجعله حيث يشاء " (١) . وقد قالت له بنو  
عامر - أيضاً - نحو ذلك؛ فقال : " الأمرُ إلى الله، يَضَعُهُ حَيْثُ يَشَاءُ "، فقال كبيرهم -

وهو فِرَاسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ -: " أَفْتُهُدُ نَحُورُنَا لِلْعَرَبِ دُونَكَ، فَإِذَا أَظْهَرَكَ اللَّهُ كَانَ الْأَمْرُ لِعَرَبِنَا ؟ لَا حَاجَةَ لَنَا بِأَمْرِكَ ! " (١). وهؤلاء طلاب مُلِكٍ لا طلاب رسالة؛ وإنما كان النبي ﷺ - يبحث عن رجال يُضَحِّون، لا جباة يأكلون . كان يبحث عن دعاة لا جباة !  
فهذه الدعوة لا يفلح فيها طلاب الدنيا .

إن الشخص النفعي لن يبذل معونته للدعوة؛ إلا إذا أحس بالمنفعة المادية من وراء هذه الدعوة .

إن التجرد، سمةٌ رئيسية وصفةٌ أساسية لأبناء هذا الدين .  
ذلك ليعلم المسلم أن الأرض لله، والملك لله، والسلطان لله، يجعل أي من ذلك حيث يشاء، والعاقبة للمتقين .

ثم أنت رأيت أن رسول الله ﷺ - لم يعدهم ويمنهم بشيء، ولو كان من الملوك أو من قادة الثورات النفعية؛ لطاوعهم فيما يطلبونه ولو بالكلام، حتى يتم له ما أراد، ثم يخلف وعده بعد ذلك حينما يتمكن من رقابهم . كشأن قائدٍ من قادات الثورات الحديثة؛ لما نصره إخوانه؛ غدر بهم، وأخذ يعمل فيهم القتل، ليستبد له الأمر .  
أما النبي ﷺ - فجلاها بوضوح من أول يوم: أن الأمر لله، يضعه حيث يشاء، هكذا صادقة نقية لا ترى في عقيدتها عوجًا ولا أمتًا.

### حكمة أفضل من حكمة :

وقد التقى النبي - صلى الله عليه وسلم - بآحاد الأشراف؛ فتصدى لسويد بن الصامت - وكان من أكابر يثرب، من الأوس، من بني عوف - وكان رجلاً مفكراً مثقفاً، يحفظ طرفاً من حكم لقمان ، فدعاه النبي ﷺ - إلى الإسلام؛ فقال سويد بلسان العلماء الظرفاء : " فَاعْلَلَّ الَّذِي مَعَكَ مِثْلَ الَّذِي مَعِيَ ! " .

فقال الداعية الحكيم - دون حَجَرٍ على فكر أو ازدراء لرأي - :

" وَمَا الَّذِي مَعَكَ ؟ "

قال سويد : " جَلَّةُ لُقْمَانَ - يَعْنِي حِكْمَةُ لُقْمَانَ " .

فقال صاحب الأدب الرفيع : " اغْرِضْهَا عَلَيَّ " .



آه يا أخي من تلك المواقف، تلك التي تكون فيها لحظة صدق، أو وقفة حق، أو كلمة طيبة؛ يدخل الإنسان على أثرها جنة الخلد .

وكم تمر بنا تلك الفرص في حياتنا اليومية، فيبتلى المرء بموقف يجد نفسه فيه بين أضراس الباطل؛ ولا معين للحق في هذا المشهد، ومطلوبٌ من الإنسان أن يقف فيها وقفةً إيجابيةً، يُفَرِّقُ فيها بين الحق والباطل .. ولكن ... سرعان ما يحتويه الشيطان، ولا يُري المرءُ ربَّه من نفسه خيراً، فيسكت عن الحق، أو يخوض مع الخائضين .

\*\*\*

### دهط أسعد بن زُرارة :



ولا زال هكذا؛ صلوات الله عليه، يدور على القبائل في مواسم الحج؛ يصدع فيهم بكلمة الحق، حتى أذن الله تبارك وتعالى أن يمن على الأوس والخزرج بهذه النعمة العظيمة؛ نعمة النصر . فبينما هو عند العقبة - بمنى - لقي جماعة من الخزرج؛ - وكانوا ستة منهم أسعدُ بنُ زُرارة - فطلب النبي ﷺ - أن يجلس إليهم يكلمهم؛ فأذنوا له، وقد سألهم عن موطنهم، فأخبروه، وقال : "أَمِنْ مَوَالِي يَهُودَ ؟"، قالوا: نعم . وبذلك عرف خلفيتهم الثقافية، وعلم من أين سيبدأ الحوار، وقد كانت اليهود في المدينة تبشر بمقدم نبي آخر الزمان .

جلس رسول الله ﷺ - إلى هؤلاء الشباب؛ فعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن؛ فعرفوا صدقه، فآمنوا، وقالوا : " إِنَّا قَدْ تَرَكْنَا قَوْمَنَا؛ وَلَا قَوْمَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالشَّرِّ مَا بَيْنَهُمْ؛ فَعَسَى أَنْ يَجْمَعَهُمُ اللَّهُ بِكَ، فَسَنَقْدِمُ عَلَيْهِمْ فَتَدْعُوهُمْ إِلَى أَمْرِكَ، وَتَعْرِضُ عَلَيْهِمُ الَّذِي أُجِبْنَاكَ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الدِّينِ، فَإِنْ يَجْمَعَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَلَا رَجُلَ أَعَزَّ مِنْكَ. " (١)، وانصرفوا وصدقوا، وقاموا بتبليغ قومهم؛ فبدأ الإسلام ينتشر فيهم .

\*\*\*

كان إسلام هؤلاء الشبيبة سهلاً سريعاً، للخلفية الدينية التي زرعتها يهود . وللفتن والهزاهز التي طحنت الجميع . ثم إن هؤلاء من الخزرج؛ الذين هم أرق أفئدة، وأطيب قلوباً، إذ أصولهم ترجع إلى اليمن، وقد تبوءوا دار المدينة من قبل، وقد قال رسول الله

﴿ ٢٠١ ﴾

\*\*\*السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ\*\*\*

﴿٢٠١﴾ - في أهلها « جَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ ! هُمْ أَرْقُ أَفْنَدَةً . الْإِيمَانُ يَمَانٍ ، وَالْفِقْهُ يَمَانٍ ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ »<sup>(١)</sup> . هؤلاء صفتهم في القرآن ، ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر: ٩] .

\*\*\*

ومن هنا، ومن هذا الموقف، ومن هذه العزمة، بدأ مجد الأنصار - رضي الله عنهم - ومن هنا دخل الأنصارُ التاريخَ . واقتنصت الأوسُ والخزرجُ السيفَ اليماني، والتاجَ الذهبي، والمجد الخالد التالد الأبدي، بفضل سبقهم ونصرتهم وصدقهم وموقفهم التاريخي . وهم فوق ذلك أبناء الحروب، وقادة الجنود، وساسة الأمور، وفخر المشاهد، وفرسان الهزاهز، وأبطال المعارك، وإخوان التجارب. فرضي الله عنهم وأرضاهم .

\*\*\*

أرأيتَ همته - ﷺ - في الطواف على الناس ؟ أرأيتَ كيف أن أمور العقيدة وأصول الدين ثابتة لا تتغير ؟ وأن الحكمة لا تصادم الحكمة، بيد ثمة حكمة هي أفصح من أخرى .. وأنه - ﷺ - لم يردَّ حكمة سويد ولم يسفهاها ؟ ثم أسلم ذلك الرجل المتأدب، ذلك لتعلم أن الحكماء والعقلاء هم أقرب الناس إلى الإسلام، كما القمر أقرب الكواكب إلى الأرض؛ كيما تعلم أن العقول المستنيرة لا تصدم الشرع السمح، وكيما تؤمن أن الشرع السمح لا يصدم العقول المستنيرة؛ وكيلا تظن أن هؤلاء الطاعنين في الدين بلغوا مبلغاً من أدب البحث العلمي ! فلو بلغوا طرفاً حسناً من أخلاقيات الباحثين لما كذوبوا ودلسوا وافتروا؛ كما كذب العلمانيون، ودلس المستشرقون، وافترى الملحدون!

\*\*\*

يا عزيزي، لتأخذك الحمية للحق، ولتتخلق بأخلاق الغلام الصغير الذي نصر الرسول - ﷺ - وقال فيه قولة نور في دياجير الظلام. فاعمل على نشر كلمة الحق وإعلائها، ودحض كلمة الباطل وإذلالها، وقطع مادة الفساد وحسم أدوائها .

\*\*\*

(١) أخرجه البخاري (١٩١) .





ذكرنا في الدرس السابق أن النبي - ﷺ - في موسم

الحج عام ١١ من النبوة اجتمع بجماعة من الخزرج

- وكانوا ستة منهم أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ - وقد تمخض

الاجتماع عن إسلام هذا الوفد المبارك، والعودة إلى المدينة

لدعوة أكبر عدد ممكن للدين الجديد، والحضور إلى النبي - ﷺ -

- في موسم الحج القادم ( سنة ١٢ من البعثة )؛ ليلتقي بنخبة



## بيعة العقبة الأولى

من الأوس والخزرج . وقد كان .

وجاء في هذا الموسم اثنا عشر رجلاً فيهم خمسة من الستة الذين جاءوا في العام

السابق، وهذا يعني أن كل رجل من الستة دعا رجلاً مثله - تقريباً -، وهاكم رهط

العقبة الأولى جميعاً - الداعون والمدعوون :-

### الداعون :



وهم الذين حضروا في العامين الماضي والحالي [عدا جابر بن عبد الله بن رثاب؛ فإنه

تغيب عن هذه البيعة، وهو من أكابر الصحابة وقد شهد بدرًا وأحدًا] :

١- أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ بْنِ عُدَسَ - وَهُوَ أَبُو أُمَامَةَ - من بني النجار

٢- عَوْفُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ رِفَاعَةَ - وقد قتل في بدر - وهو من بني النجار .

٣- رَافِعُ بْنُ مَالِكِ بْنِ الْعَجْلَانِ - من بني زُرَيْقٍ

٤- قُطَيْبَةُ بْنُ عَامِرِ بْنِ حَدِيدَةَ - من بني سلمة .

٥- عُقْبَةُ بْنُ عَامِرِ بْنِ نَابِي - من بني حرام بن كعب

٦- جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رِثَابٍ - من عبيد بن غنم

وهؤلاء من الخزرج جميعاً

### المدعوون :



وهم الذين استجابوا لدعوة إخوانهم الستة .

١ - معاذ بن الحارث، ابن عفراء - أخو عوف السابق رقم ٢ - من بني النجار [ من

الخزرج ]

- ٢ - ذُكْوَانُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ من بني زُرَيْقٍ - قُتِلَ في أحد - . [ من الخزرج ]
- ٣ - عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ بْنِ قَيْسٍ - من بني عوف - وهو من علماء الصحباء، وكان نقيياً ومعلماً لأهل الصُفَّة - [ من الخزرج ]
- ٤ - يَزِيدُ بْنُ نَعْلَبَةَ بْنِ خَزَمَةَ - من بني عوف - قُتِلَ يوم أحد [ من الخزرج ]
- ٥ - الْعَبَّاسُ بْنُ عُبَادَةَ بْنِ نَضْلَةَ - من بني سالم [ من الخزرج ]
- ٦ - أَبُو الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيْهَانِ من بني عبد الأشهل [ من الأوس ] .
- ٧ - عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ - من بني عمرو [ من الأوس ] .

\*\*\*

التقى النبي ﷺ - بهؤلاء الرجال، فبايعهم البيعة الأولى، والتي أطلق عليه بيعة النساء؛ وذلك لتشابهها مع بنود بيعة النساء عام الفتح سنة ٨ هـ، وسُميت بيعة النساء - أيضاً - لأنها خالية من بند الجهاد .

أما عن بنود هذه البيعة؛ فعن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - أن الرسول ﷺ - قال لهم - أي عند العقبة :-

"تَعَالَوْا بَايِعُونِي عَلَى :

١- أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا

٢- وَلَا تَسْرِقُوا

٣- وَلَا تَزْنُوا

٤- وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ

٥- وَلَا تَأْتُوا بَبْهَتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأُزُجْلِكُمْ

٦- وَلَا تَعْصُونِي فِي مَعْرُوفٍ

فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَرَّهُ اللَّهُ؛ فَأَمَرُهُ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَاقِبُهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ " (١) .

\*\*\*







وقد قال النبي - ﷺ - : " لا طاعة لأحدٍ في معصية الله تبارك وتعالى " (١) .

فهذا الموظف الذي يعمل في الحكومة، أو غيره من رجال الشرطة، وغلaman السلطان، وعسس الأمراء لا عذر لهم أمام الله إن آذوا الناس بحجة تنفيذ أمر الوزير أو الأمير، وإنك لتحاول أحدهم؛ تقول له : لِمَ تظلم الناس ؟ فيكون رده - الذي توارثته أجيال العار - : " أنا عبد المأمور " !

وبح هؤلاء ! إن الله - تبارك وتعالى - يقول في أمثالهم :

﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ بَعْآ فَهَلْ أَنتُمْ مُعْتُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّكَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤٧، ٤٨] .

وأمثال هؤلاء، أشار إليهم النبي - ﷺ - في الصنف الأول من قوله : " صِنْفَانِ مِّنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا : قَوْمٌ مَّعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةٍ كَذَا وَكَذَا " (٢) . وقال - ﷺ - :

" ... مَنْ خَرَجَ مِنْ أُمَّتِي عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا لَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلَا يَفِي بِذِي عَهْدِهَا فَلَيْسَ مِنِّي " (٣) وقال - ﷺ - :

" عَذَّبْتُ امْرَأَةً فِي هِرَّةٍ؛ سَجَنَتَهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلْتُ فِيهَا النَّارَ؛ لَا هِيَ أَطْعَمَتَهَا وَلَا سَقَتَهَا إِذْ حَبَسْتُهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ " (٤) .  
ومرَّ هِشَامُ بْنُ حَكِيمٍ بِنِ حِزَامٍ - رضي الله عنه - عَلَى أَنَاسٍ مِنَ الْأَنْبَاطِ بِالشَّامِ، قَدْ أَقِيمُوا فِي الشَّمْسِ، فَقَالَ : مَا شَأْنُهُمْ ؟ قَالُوا : حُبِسُوا فِي الْجُرْزِيَةِ ! فَقَالَ : هِشَامُ أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ :

(١) أخرجه أحمد (٤٥ / ٦٥)، وهو في السلسلة الصحيحة (١٧٩) .

(٢) أخرجه مسلم (٣٤٣٧) .

(٣) أخرجه مسلم (٣٩٧١) .

(٤) أخرجه البخاري (٣٢٢٣) .

"إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا"<sup>(١)</sup>

\*\*\*

أخذ النبي ﷺ - البيعة على أصحاب العقبة الصغرى في حدود هذه البنود الستة، التي لم يشر فيها إلى الجهاد العسكري، إنما أشار في هذه البيعة على وجوب طاعته في كل معروف، وهو بند مفتوح لما يُستجد من أحكام شرعية، وتعاليم إسلامية ..

\*\*\*

"فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ" ..

ذلك أن هذه البيعة لا جزاء لهم بها دنيا أو إمارة أو وزارة، إنما أجرهم عند الله، وعلى هذا الأساس الآخروي تُنبئ الدول الإسلامية، وتُقام الجماعات الدعوية، فغنيمة العاملين في هذه الدول والدعوات هي "ثواب الله" .

\*\*\*

"وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا؛ [أي من هذه المحرمات] فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ" ..

إشارة ضمنية لقدم أحكام تشريعية - في المستقبل - تتعلق بحدود الزنى وقتل النفس وغيرها من الحدود .

إن النبي ﷺ - علم في هذه الساعة التي يتحدث فيها إلى رجال العقبة الأولى - أنه ستكون أحكام، وستنزل آيات تشريعية في الكبائر الاجتماعية . يعلم جيدًا أن المرحلة القادمة - مرحلة العهد المدني - هي مرحلة بناء الدولة، كما علم من قبل أن المرحلة السالفة - مرحلة العهد المكي - هي مرحلة بناء الجماعة .

وهكذا يتبدى لنا الوعي الحركي والفقهاء التنظيمي عند النبي ﷺ - . ألا فليعلم الدعاة أن الدعوة : إيمان وفقه وحركة . أن الدعوة عقيدة راسخة تقوم عليها الثقافة الإسلامية الواسعة، تلك التي تتحرك في إطار مراحل مرتبة، وخطط مُنظمة، وجداول عمل، وبرامج تنفيذ، ووسائل دعوية مختلفة ... كل هذه العناصر تسعى حثيثاً - في منظومة متكاملة - لتحقيق الغاية الكبرى؛ ألا هي رضوان الله تبارك وتعالى ..

(١) أخرجه مسلم (٤٧٣٤) .

فلما كان المرد إلى الله، والمبتغى هو الله، كان هو هو وحده يُكافؤ أصحاب هذه البيعة إذا التزموا بها، وإليه يرجع أمرهم إذا خفروا أمانتها، وخالفوا بنودها، إن شاء عاقبهم بعدله، وإن شاء عفا عنهم برحمته .

**بَيْعَةٌ أَوْ ... مِيثَاقٌ جَاهِلِيَّةٌ !**

**قال النبي - ﷺ - :**

هؤلاء الأنصار - رضي الله عنهم - يباعوا رسول الله ﷺ - على بنود تنسف ركام الجاهلية نسفاً، ولما كانت البيعات؛ لا تكون إلا في معروف؛ كانت براءة لصاحبها من ربة الجاهلية إن وُقِّي وأدى والتزم البنود.

وليس المراد من قول النبي - ﷺ -: "مات ميتة جاهليّة" أنه يموت كافراً بل يموت عاصياً. فهو إن خلع رداء الطاعة لم يخلع ثوب الإسلام.

... وأخيراً على كل مسلم أن يسعى إلى إعادة الخلافة الإسلامية حتى لا يقع تحت طائلة هذا الحديث، ﴿فَاقْبَلُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا﴾ [التغابن: ١٦].



تمت بيعة العقبة الأولى، وأرسل النبي ﷺ - مع وفد الأنصار - سفيرًا وداعيًا ومعلمًا؛ هو مصعب بن عمير - رضي الله عنه - فمكث فيهم نحو عام؛ فلم يترك بيتًا إلا دخله، ولم يترك تجمعًا إلا تصدى له، حتى أسلم على يديه معظم الأوس والخزرج، وجل زعمائهم أمثال : أسيد بن حضير وسعد بن معاذ .

نجح مُصْعَبٌ نجاحًا عريضًا، وقد قفل راجعًا إلى النبي بمكة قبيل موسم الحج من العام الثالث عشر للبعثة - يعني قبيل بيعة العقبة الكبرى -، وذلك ليرفع إلى النبي ﷺ - الواقع الدعوي خلال عام من عقد بيعة العقبة الأولى .

وإنه لخيرُ نموذجٍ للداعية المتجرد .. مصعب بن عمير - رضي الله عنه - الذي ترك حياة الترف والنعيم، وترك بيته الفاخر في مكة، وترك أهله أصحاب الشرف والسيادة ... ترك كل هذا، متجرّدًا منقطعًا لله رب العالمين، ثم هو يذهب إلى المدينة داعيًا ومعلمًا، يدور على البيوت، يدعو، ويعلم، وينشر الإسلام، حتى هدى الله على يديه خلق كثير . ثم هو يموت شهيدًا في معركة أحد فقيرًا "فَلَمْ يُوْجَدْ لَهُ مَا يَكْفِيهِ إِلَّا بُرْدَةٌ" .

١- مطالعة سير أصحاب العقبة الأولى في كتب السير والتراجم، مثل كتاب "أسد الغابة في معرفة الصحابة" لابن الأثير، وكتاب "صور من حياة الصحابة" لعبدالرحمن رأفت الباشا.

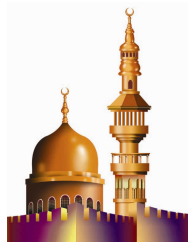
٢- مدارس سورة الزخرف، قراءةً وتجويدًا وتفسيرًا؛ تلك التي قرأها مصعب على سعد بن معاذ فأسلم.

٣- اكتب بحثًا علميًا أو رقة بحثية عن رحلة مصعب الدعوية في المدينة والتي استغرقت عامًا واحدًا؛ وأتت بنتائج عظيمة جليلة؛ فهي تجربة دعوية جذيرة بالدراسة والتأمل .

٤- المشاركة في حملة دعوية لإصلاح المجتمع، مثل حملة غرس الفضيحة، وحملة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحمولات : الإيجابية، والحجاب، تيسير الزواج، نشر قيمة العدل .. سَلِّ بعض الدعاة المخلصين القريبين منك عن هذه المشاريع الدعوية.



٤- اقرأ في فقه البيعة والخلافة من الكتب السُّنية المعتمدة، راجع مثلاً: [أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، الشهير بالماوردي: الأحكام السلطانية]، و[أحمد بن عبد الله القلقشندي: مآثر الإنافة في معالم الخلافة]، و[عبد الحي الكتاني: نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية]، [محمد رشيد رضا: الخلافة]، و[عبد الرزاق أحمد السنهوري: فقه الخلافة].





إنه البلاء الإعلامي الذي كابده الأنبياء والمصلحون، فصبروا على ما كُذِّبوا وأوذوا حتى أتاهم نصر الله.

إنها آثار الحملة الإعلامية - حملة التشويش وغسل الأدمغة - التي أحسنتها قريش .  
قد آتت أكلها الآن؛ فصارت الجزيرة إلى هذه الحال من التنكر لدعوة الإسلام.  
قد كان صناديد مكة ينشرون الخطباء على قوارع الطرق، وفي مداخل مكة، يحذرون الضيفان والتجار والحجاج؛ احذروا سحر محمد؛ "سِحْرٌ يُفَرِّقُ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَآبِيهِ، وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَأَخِيهِ، وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَعَشِيرَتِهِ".

\*\*\*

حتى جاء موسم الحج سنة ١٣ من البعثة؛ وجاء وفد البيعة لموعدهم، وقد عزموا على مقابلة النبي - ﷺ - وحمله إلى ديارهم .

**قال كعب بن مالك :**

فَلَمَّا فَرَعْنَا مِنَ الْحَجِّ وَكَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي وَعَدَنَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَمَعَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ - أَبُو جَابِرٍ سَيِّدٌ مِنْ سَادَتِنَا - وَكُنَّا نَكْتُمُ مَنْ مَعَنَا مِنْ قَوْمِنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمْرًا فَكَلَّمْنَاهُ وَقُلْنَا لَهُ :

يَا أَبَا جَابِرٍ ! إِنَّكَ سَيِّدٌ مِنْ سَادَتِنَا وَشَرِيفٌ مِنْ أَشْرَافِنَا، وَإِنَّا نَرَعُبُ بِكَ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ أَنْ تَكُونَ حَطْبًا لِلنَّارِ غَدًا !

" ثُمَّ دَعَوْتُهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبَرْتُهُ بِمِيعَادِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَأَسْلَمَ، وَشَهِدَ مَعَنَا الْعَقَبَةَ، وَكَانَ نَقِيًّا ... " (١).

\*\*\*

كانت فاتحة خير؛ أن أسلم هذا الصنديد السيد، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ، الذي شهد بدرا، وقُتل في أحد، ذلك الذي قال فيه النبي - ﷺ - يحدث ولده جابر :

" أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ ؟ "

قَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ !

[آل عمران: ۱۶۹] <sup>(۱)</sup>.

❦ قال كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ - متابعاً حديثه عن ليلة العقبة الثانية :-

\*\*\*

لو لم تكن حركة الدعوة في المدينة على قدر هذه المسؤولية؛ لما خرج منها في هذا العام سبعون؛ يتسللون إلى رسول الله - ﷺ - تسلل الطريدة من يد الصائد -؛ يفقهون معنى الكتمان والسرية، يعلمون جيداً طبيعة المرحلة المكية؛ يلتقون برسول الله - ﷺ - في أواخر أيام الحج؛ حتى لا ينكشف أمر بيعتهم، وإذا انكشفت لا ذوا بالخروج في معترك

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٨٦) وصححه الألباني .

خرجة الحجيج، يتخيرون الوقت الأنسب لإبرام البيعة؛ فقد كان لقاءهم تحت جناح الليل؛ والعيون نائمة، والآذان غائبة؛ فاجتماع جماعة من الأوس والخزرج بمحمد - ﷺ - في حد ذاته؛ أمرٌ خطير بالنسبة لقريش.

\*\*\*

#### كلمة العباس

قال كعب بن مالك :

" فَاجْتَمَعْنَا بِالشَّعْبِ نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - ؛ حَتَّى جَاءَنَا، وَمَعَهُ يَوْمِيذٌ عُمُهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَهُوَ يَوْمِيذٌ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، إِلَّا أَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يُخْضِرَ أَمْرَ ابْنِ أَخِيهِ، وَيَتَوَقَّى لَهُ فَلَمَّا جَلَسْنَا؛ كَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَوَّلَ مُتَكَلِّمٍ، فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْخُزُرِجِ - وَكَانَتْ الْعَرَبُ مِمَّا يُسَمُّونَ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ الْخُزُرِجِ أَوْسَهَا وَخَزُرَجَهَا - إِنَّ مُحَمَّدًا مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ، وَقَدْ مَنَعْنَاهُ مِنْ قَوْمِنَا مِمَّنْ هُوَ عَلَى مِثْلِ رَأِينَا فِيهِ، وَهُوَ فِي عِزٍّ مِنْ قَوْمِهِ وَمَنْعَةٍ فِي بَلَدِهِ" (١) .

قال العباس :

" وَإِنَّهُ قَدْ أَبَى إِلَّا الْأَنْحِيَارَ إِلَيْكُمْ، وَاللَّحُوقَ بِكُمْ؛ فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ وَأَفُونَ لَهُ بِمَا دَعَاكُمْ إِلَيْهِ وَمَانِعُوهُ مِمَّنْ خَالَفَهُ فَأَنْتُمْ وَمَا تَحْمَلْتُمْ مِنْ ذَلِكَ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ مُسْلِمُوهُ وَخَاذِلُوهُ بَعْدَ الْخُرُوجِ بِهِ إِلَيْكُمْ؛ فَمِنَ الْآنَ فَدَعُوهُ فَإِنَّهُ فِي عِزٍّ وَمَنْعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَبَلَدِهِ" (٢) .

\*\*\*

#### الاستفادة من رموز المجتمع

ووجود العباس هنا له مغزى مهم؛ ذلك لتعلم الأنصار أن الذين يدافعون عن محمد - ﷺ - ليس أتباعه فحسب؛ إنما ينقسمُ الذب عن محمد، على المسلمين عامة، وعلى آل محمد خاصة مسلمهم وكافرهم على حد سواء؛ وهؤلاء المشركون ممن هم من بني هاشم وبني عبد المطلب هم الذين ساندوا النبي - ﷺ - في محنة الحصار؛ ودخلوا معه الشعب بقيادة أبي طالب.

(١) أخرجه ابن ماجه ( ١٨٦ ) وصححه الألباني .

(٢) ابن هشام ١ / ١٤١، ١٤٢ .



### بنود البيعة الكبرى

قال جابر بن عبد الله :

فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَامًا نُبَايِعُكَ قَالَ :

١- « تَبَايَعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ

٢- وَالنَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ

٣- وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ

٤- وَأَنْ تَقُولُوا فِي اللَّهِ، لَا تَخَافُونَ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَّا يَمُ

٥- وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي ؛ فَمَنْعُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ

وَأَرْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ ..

.. وَلَكُمْ الْجَنَّةُ »<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

وهذه خماسية ؛ فوق سادسية العام السالف، فتم للأَنْصارِ أحدَ عشرَ بنداً؛ هي نواة

الدولة الإسلامية التي أوشكت على السطوع.

ومن الملاحظ أن بنود هذه البيعة أشد وأعلى من بنود السابقة.

أنت ترى " الإنفاق والقتال " في طيات هذه البيعة الكبرى.

إن الجهاد بالنفس والمال هو جوهر هذه البيعة العظيمة؛ فلا قوام لدعوة ولا دولة

ولا خلافة دون تضحية بالنفس وبالمال .

### السمع والطاعة

أما البند الأول، ففي السمع و الطاعة - في السلم وفي الحرب، في السكنة وفي

الحركة، في الحضر وفي السفر: "تَبَايَعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ" .

وهذا أصل في نجاح أي عمل جماعي، وبغير السمع والطاعة؛ تذهب الريح، وتفتر

القوة، ويضيع العمل :

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَعَوْا أَنْفُسَكُمْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

[الأنفال: ٤٦]

(١) أخرجه أحمد (٤٨٣٠) وهو في السلسلة الصحيحة: ٦٣



🔖 **وكان البند الثاني في الجهاد بالمال، فحن مقبلون على مرحلة الدولة؛ وهي**  
**بحاجة على جيش وقوة، واقتصاد وعُدة، فقال: "وَالنَّفَقَةُ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ".** فواحد  
 من اثنان، الإنفاق أو الهلاك :

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

[البقرة: ١٩٥]

✍ الأُمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ

**وكان البند الثالث، في فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ذلكم الأصل الذي هو علامةٌ على خيرية هذه الأمة وفضلها وريادتها:**

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ  
بِاللَّهِ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

[آل عمران: ۱۱۰].

~~كلمة الحق~~

وكان البند الرابع : " وَأَنْ تَقُولُوا فِي اللَّهِ ، لَا تَخَافُونَ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَّائِمَةً " ، وفي حديث عَبْدِ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ : " وَأَنْ تَقُومَ - أَوْ تَقُولَ - بِالْحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا ؛ لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَّائِمَةً " <sup>(١)</sup> .

أَنْ يَخُوضُوا الْغَمَرَاتِ لِلْحَقِّ، أَنْ يَصْدَعُوا بِكَلِمَةِ الْحَقِّ بَيْنَ ظَهْرَانِي النَّاسِ. وَأَيُّ شَيْءٍ  
أَعْظَمُ مَنْزِلَةً مِنْ رَجُلٍ قَامَ إِلَى ظَالِمٍ فَزَجَرَهُ، أَوْ فَاجَرَ فَنَهَرَهُ، أَوْ مَعْتَدٍ فَبَرَّهُ.  
وَإِنْ قُتِلَ صَاحِبُ كَلِمَةِ الْحَقِّ جِزَاءَ كَلِمَتِهِ؛ فَهُوَ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِ الشُّهَدَاءِ.

إن قومًا ضاعت فيهم كلمة الحق؛ لخليق أن يزول أثرهم؛ وإن يُخربون إلا أوطانهم وما يشعرون. ألم يروا كم أهلك الله من حضارة من الحضارات لما ضاعت بينهم كلمة الحق. وأنَّ صفات الذين يحبهم الله ويحبونه؛ أنهم لا يخافون فيه لومة لائم:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ رَّبِّكَ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ۖ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ۖ﴾

أَعْرِضْ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةً لَا يَمُرُّ بِكَ ذَلِكَ فَيُضِلَّكَ فَضَّلُ اللَّهُ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ

عَلِيمٌ ﴿المائدة: ٥٤﴾

## القتال

ثم كان البند الخامس والأهم؛ القتال دون رسول الله ﷺ - حتى يبلغ رسالة ربه؛ ينصروه، ويدودا عنه مثلما يدافعون عن أزواجهم وأبنائهم، فقال :  
 " وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي ؛ فَتَمْنَعُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ ، مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ . "

وهو الميثاق الغليظ الذي أخذه الله على الأمم السابقة؛ وقتما بعث محمداً؛ لتؤمنن به ولتنصرنه :

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٨١]

## الجنة

خمس بنود؛ إن التزمتن بهن؛ فلكم الجنة . هكذا كانت الثقة والتجارة مع الله . لم يمنهم بمنصب أو وزارة أو إمارة أو مكافأة مالية . وهذه هي طبيعة العلاقة بين الداعي ودعوته؛ لا ينتظر من وراءها عرضاً من أعراض العاجلة، وما الحياة الدنيا إلا متاع قليل، فضلاً عن كون هذه البيعة لا تصلح إلا للذين تجردوا لله، وأخلصوا أنفسهم لنيل رضوانه، وللدار الآخرة خير للذين يتقون، أفلا تعقلون ؟

\*\*\*

## مبادرة البراء بن معرور

قال كعب بن مالك :

"فَأَخَذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ : نَعَمْ ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَرْزَنَا<sup>(١)</sup> ، فَبَايَعَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - فَنَحْنُ أَهْلُ الْحُرُوبِ ، وَأَهْلُ الْحُلُقَةِ<sup>(٢)</sup> ، وَرِثْنَاهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ ! "<sup>(٣)</sup>

(١) أي نساءنا كنى عنهن بالأزر .

(٢) أي السلاح .

(٣) أخرجه أحمد (١٥٢٣٧)، وصححه الألباني في تحقيق فقه السيرة .



وفي ثنايا هذه البسمة التي أنارت ظلمة العقبة، وفي ثنايا هذه الإشراقة التي خرجت من جبينه الوضاح، قال مُعاهداً وواعداً وعد الحر الكريم :

"بَلِّ الدَّمِ الدَّم، وَاهْدَمْ اهْدَمْ": أي حُرمتي مع حُرمتكم، وبيتي مع بيتكم. والعرب تقول : دمي دَمُك وهَدَمي هَدَمُك في النُّصرة.

"أَنَا مِنْكُمْ، وَأَنْتُمْ مِنِّي؛ أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ، وَأُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ"

ويا لها من شهادة ووسام ! فهؤلاء صاروا من الرسول وصار الرسول منهم لما نصره والتزموا بيعته .

وهذه العطية الكريمة ليست للأنصار خاصة؛ بل هي لكل من وقف موقف النصرة للرسول - ﷺ -، فمن تبعه فهو منه، ومن نصره فهو منه .

إن أنصار رسول الله - ﷺ - في كل زمان ومكان؛ يبعثهم الله على رأس كل قرن؛ فسلوكهم ينابيع هداية ونور؛ ينشرون الإسلام في أصقاع الأرض، إسلاماً صافياً طاهراً كيوم نزوله؛ غير ذي عوج، لا يخشون في الله لومة لائم، أولئك يقول لهم رسول الله - ﷺ - : "أَنَا مِنْكُمْ، وَأَنْتُمْ مِنِّي" . أولئك الذين يعرفهم رسول الله - ﷺ - على الحوض غراً محجلين .

\*\*\*

تَنْبِيْهِ حَكِيْمٍ مِنْ أَسْعَدِ بْنِ زُرَّارَةَ  
قَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ :

فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعْنَاهُ؛ وَأَخَذَ بِيَدِهِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ - وَهُوَ مِنْ أَصْغَرِهِمْ - فَقَالَ : رُؤَيْدًا يَا أَهْلَ يَثْرِبَ ! فَإِنَّا لَمْ نَضْرِبْ أَكْبَادَ الْإِبِلِ إِلَّا وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -، وَإِنَّ إِخْرَاجَهُ الْيَوْمَ مُفَارَقَةُ الْعَرَبِ كَافَّةً، وَقَتْلُ خِيَارِكُمْ، وَأَنْ تَعْضَكُمْ السُّيُوفُ، فَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَصْبِرُونَ عَلَى ذَلِكَ وَأَجْرُكُمْ عَلَى اللَّهِ، وَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ جَبِينَةً، فَبَيِّتُوا ذَلِكَ فَهُوَ أَعَدَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ.

قَالُوا : أَمِطْ عَنَّا يَا أَسْعَدُ؛ فَوَاللَّهِ لَا نَدْعُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ أَبَدًا وَلَا نَسْلُبُهَا أَبَدًا. قَالَ جَابِر :

فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعْنَاهُ، فَأَخَذَ عَلَيْنَا، وَشَرَطَ عَلَيْنَا، وَيُعْطِينَا عَلَى ذَلِكَ الْجَنَّةَ <sup>(١)</sup>.



لك أن تتخيل ذلك؛ وأن تعصف ذهنك حول مئات أو آلاف الجلسات التي جلسوها، وعلى كل حال لن تخلوا هذه المجموعات من اجتماعها على مدارس القرآن، والتفقه في الدين، والتعبد بالليل، والدعوة بالنهار، وتهيئة المدينة لاستقبال رسول الله - ﷺ . -

.. وهكذا فقهوا العمل الجماعي الدعوي من أول جلسة جلسوها إلى النبي - ﷺ . -

\*\*\*

### صرخة الشيطان

وبعد أن تمت البيعة، ثم الانتخابات، ثم المجموعات، كل ذلك في ساعة من الليل؛ كان حقاً على الشيطان أن يُنفَس عن مصيبتِه؛ إذا رأى الملعون أن شمل رسول الله - ﷺ - وأن الدولة الإسلامية قاب قوسين أو أدنى؛ فصرخ صرخته - كما في الحديث الصحيح - :  
**"يَا أَهْلَ الْجُبَابِجِ<sup>(١)</sup>، هَلْ لَكُمْ فِي مُدَمِّمٍ، وَالْصُّبَاةِ مَعَهُ، قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِكُمْ؟"**  
**فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - :**

**"هَذَا أَرَبُ الْعَقَبَةِ، هَذَا ابْنُ أَرَيْبٍ، اسْمِعْ أَيُّ عَدُوِّ اللَّهِ! أَمَا وَاللَّهِ لَا أَفْرَعَنَّ لَكَ!"**<sup>(٢)</sup>  
وهنا أمر الرسول - ﷺ - أن يرفع الصحابة إلى رحالهم، وقد بدأت مكة تستيقظ على صوت الشيطان، وقد أكد لنا الرسول - في الحديث الصحيح - أنه شيطانٌ فعلاً وذكره باسمه واسم أبيه ( أَرَبُ الْعَقَبَةِ، هَذَا ابْنُ أَرَيْبٍ ).

ومن ثم لا حجة لهؤلاء الذين يستحيون من سنة نبيهم؛ ويقولون : هو مشرك من مشركي مكة ووصفه الرسول بصفة الشيطان !

\*\*\*

### الاختبار الأول للأَنْصار

ثم قال العباس بن عبادَةَ بْنِ نَضْلَةَ :  
**وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَئِنْ شِئْتَ لَنَمِيلَنَّ عَلَى أَهْلِ مَنِي عَدَا بِأَسْيَافِنَا!**

(١) الْجُبَابِجُ الْمُنَازِلُ .

(٢) أخرجه أحمد (١٥٢٣٧)، وصححه الألباني في تحقيق فقه السيرة .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :-

"لَمْ أُوْمَرْ بِذَلِكَ" (١)

وقد نص البند الخامس : "عَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي ؛ فَتَمْنَعُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ..." .  
ومعلوم أن فريضة القتال في سبيل الله لم تُشرع إلا في العهد المدني .  
إن هذا الموقف كان الاختبار الأول للأنصار ؛ ونجحوا إذ كانوا على أتم استعداد  
على امتشاق السيوف في وجه صناديد قريش إذا أمر الرسول ﷺ ، - بيد أنه هو الذي  
كف أيدهم عن ذلك ، وقال مؤكداً على طبيعة المرحلة المكية :  
"لَمْ أُوْمَرْ بِذَلِكَ" .

هنا ، يقولها صراحة ؛ أن الأمر بالكف عن القتال - في الفترة المكية - كأن بأمر من  
الله ؛ ومن ثم يزال المسلمون يعملون بهذا التكليف حتى يأتيهم أمر آخر من الله يأذن  
لهم في القتال ، ثم يأتيهم أمر ثالث بقتال الذين يقاتلونهم ، ثم أمر رابع بقتال كل من  
وقف عقبة في سبيل إقامة المجتمع الإسلامي ، وهكذا نرى التدرج التشريعي في فريضة  
الجهاد ؛ شأن الشريعة الإسلامية في كثير من الأحكام .  
ومن قوله - ﷺ - : "لَمْ أُوْمَرْ بِذَلِكَ" - تستشف مدى التزامه - ﷺ - بحدود كل  
مرحلة ، وحركيته الدقيقة ، وتخرجه الشديد من تأخير فعل لا يقبل التأخير ، أو تقديم  
فعل لا يقبل التقديم ، يدلك هذا على نفسٍ منضبطة ، وشخصية متزنة ، وداعية ؛ ملتزم  
بأحكام الله .

\*\*\*

يا أخي ! أين ثقتك مع الله - تبارك وتعالى - ، وبيعتك مع رسول الله ﷺ - ،  
تلك التي تلقاه بها على الحوض .  
... دوماً ، راجع نص الثقة في الآية ١١١ من سورة التوبة .

\*\*\*

(١) أخرجه أحمد (١٥٢٣٧) ، وصححه الألباني في تحقيق فقه السيرة .

١- تطبيق أسلوب " المجموعات التربوية " التي استخدمها النبي - ﷺ - كوسيلة لتربية الصحابة .

٢- الاستفادة من ذوي الأرحام ممن يحترمون الفكرة الإسلامية - بأن يقدموا أي دعم لدعوتك .

٣- حفظ حديث البيعة ( حديث جابر )، وكتابته على سبورة المسجد، أو إعداد ملصق يحمل هذا الحديث .

٤- إعداد حملة دعوية تحت عنوان : " ولكم الجنة "؛ وهي حملة من خمس محاور؛ هي بنود البيعة : طاعة الله ورسوله، الجهاد بالمال، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكلمة

الحق، ونصرة الرسول - ﷺ - . أما وسائل الحملة؛ فهي : الخطب والدروس ورسائل الجوال والمطويات وغيرها من طرق نقل الدعوة .











حول

## باب الفجرة

هِيَ الْمَدِينَةُ يُثْرِبُ) .. "

\*\*\*

وهذا العنوان يُدّلُّ لك على حصافة البخاري؛ ولطافة المعنى الذي وُفِّقَ لفهمه؛ إذ أورد الهجرة في كتاب المناقب. فالهجرة منقبة وأي منقبة! أكرم مناقب الإسلام، وأعظم حوادث سيد الأنام، ولم يسقها البخاري في سياق التاريخ رغم أن الهجرة من أجل أحداث التاريخ، ذلك الحادث الذي أعاد دورة التأريخ من جديد، إنما سطرها في كتاب المناقب ليُعلِّمَ فضلها ولتُفهم منقبتها. . نعمةٌ خصت الدين، وعمت المسلمين، وأعلت للإسلام يدا، وفتت من الباطل عضدا، وشدت من الإيمان سُننا، وأزالت عصر الوثن سرمدًا..

\*\*\*

ولم يؤرخ المسلمون بمولد النبي - ﷺ - ولا بوفاة، ولا بيوم الفرقان، ولا بيوم الفتح، إنما أجمعوا على الهجرة؛ لفقههم بقدرها، ولعلمهم بأهميتها؛ إذ هي التي نقلتهم من مرحلة الجماعة إلى مرحلة الدولة، ومن عهد الاستضعاف إلى عصر التمكين، ومن سمة المحلية إلى سمة العالمية .

فلما عظمَ فضل الهجرة على كل فردٍ من أمة الإسلام حتى قيام الساعة؛ أبان رسول الله - ﷺ - استِمْساكِهِ بجماعة المهاجرين التي ينتسب إليها من الناحية الحركية، فقال يؤكد فضل الهجرة :

"لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ" ..

إنه يبين لك أن درجة الهجرة أعلى في الدرجة من النصرة، وكلتاهما أبطنت أحشاؤها فضلاً ومجدًا، وكرامة وسؤددًا !

وهو يبين لك في هذا الجملة البلغية : " لولا الهجرة لكنتُ امرأً من الأنصار " - فضلُ الهجرة وفضلُ الأنصار في عبارة واحدة .

فَمَنْ عَلِمَ فَضْلَ الْأَنْصَارِ وَجَهْدَهُمْ وَقَدْرَهُمْ؛ عَلِمَ عَلَى أَثَرِ ذَلِكَ فَضْلَ الْهَجْرَةِ .. وَمَنْ عَلِمَ أَهْمِيَةَ الْهَجْرَةِ وَخَطِيرَ فَضْلِهَا؛ عَلِمَ بِذَلِكَ فَضْلَ الْأَنْصَارِ وَجَلِيلَ وَدْرِهِمْ ..

\*\*\*

ويبدو أن الله تعالى أراد أن يمهد لهذا الحدث العظيم، بحيث يتقبل الصحابة أمر هجرة الأوطان والأهل والديار بنفوس مُهيئة.

✍ ولقد تمت هذه التهيئة - بالفعل - على عدة نطاقات:

✍ نطاق نظري فكري : بنزول القرآن يشرح فضل الهجرة وأهميتها في تاريخ الدعوات، فكانت الآيات القرآنية تقص هجرات الأنبياء، إبراهيم ولوط ويوسف وموسى .. فضلاً عن قصة أصحاب الكهف الذين هاجروا في سبيل الله ..

✍ كما تحبذ الآيات الهجرة من أجل العبادة :

﴿ يَعْبادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا بِأَنِّ ارْضَىٰ وَسِعَةَٰ فِائِنِّى فَأَعْبُدُونِ ﴾ [العنكبوت: ٥٦]

﴿ قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠]

✍ وتذكر فضل من هاجر حفاظاً على دينه :

﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ

لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤١]

﴿ ثُمَّ إِنَّكَ رَبُّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا ثُمَّ جَاهِدُوا وَصَبَرُوا

إِنَّكَ رَبُّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النحل: ١١٠]

﴿ وَنَطَاقٌ رُوحِي نَفْسَانِي : من خلال الرؤى، ومن ذلك قول النبي - ﷺ - :  
 (رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِيَ إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ، أَوْ  
 هَجَرٌ، فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ) .

وهذه الرؤيا، تُظهر معرفة النبي -ﷺ- بالبيئة الجغرافية المحيطة به، فهو يعرف أي البلاد يكون بها النخل، ويذكر بلدان النخل التي وقعت في نفسه:

"اليامة" وهي بالفعل أرض نخل - ومكانها مدينة الرياض الآن -..

"هَجْرٌ"، وهي بدولة البحرين الآن، وهي أرض نخيل أيضًا..

وهكذا حتى أوحى الله إليه أنها المدينة يثرب .

أَعْلَمْتُ مَدَى ثِقافته الجغرافية ؟

تلك التي لا تقل عن ثقافته السياسية ومعرفته بطبائع الأنظمة الحاكمة في العالم آنذاك؛ الاستبدادية منها وغير الاستبدادية، فهو القائل: "إِنَّ بِأَرْضِ الْحَبْشَةِ مَلِكًا لَا يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَهُ، فَالْحَقُّوا بِبِلَادِهِ حَتَّىٰ يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فِرْجًا وَخِرْجًا مَّا أَنْتُمْ فِيهِ"<sup>(١)</sup>.

إِنَّهُ - ﷺ - يَعْرِفُ أَنْظِمَةَ الْحُكْمِ الْعَادِلَةِ وَأَيْنَ تَقَعُ، وَيَعْرِفُ ظِلَامَ الظُّلْمِ وَأَيْنَ يُجِمْ. لم تكن ثقافة النبي - ﷺ - كشفاة بعض حكام زماننا، الذين لا يعرفون هِراً من برّ!

وتأسياً بنبي الرحمة -ﷺ- ينبغي أن يتزود القائد المسلم بالثقافات اللازمة، والمعارف المختلفة، في السياسة والاجتماع، والجغرافيا والاقتصاد، والتنمية والانتاج، وغيرها من فروع المعارف التي تمكّنه من ناصية القيادة، وتجمع في يديه أزمّة الريادة، وتزلل له الصعاب وتمحق له العقبات .

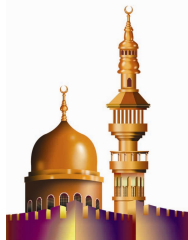
(١) أخرجه البيهقي في "السنن" (٩/٩)، عن أم سلمة، وهو في السلسلة الصحيحة، برقم ٣١٩٠.

ينبغي على القارئ المسلم أن يكون كثير المطالعة، سريع المراجعة، قوي المناظرة، شديد المقارعة، لا تنخرم له قاعدة أخلاقية في أدب الخلاف.

١- مدارس حديث الهجرة من كتاب فتح الباري لابن

حجر .

٢- كتابة مقالة عن "الهجرة في تاريخ الأنبياء".





المدينة. تمامًا كما فعل اليهود بعد ذلك في عصرنا؛ إذ تجردوا لفكرتهم، وخرجوا من ديارهم مهاجرين من أوروبا وآسيا وأمريكا، وتجمعوا في فلسطين، وتوحدت كلمتهم لإقامة وطنهم، ونزلوا غرباء في أرض المسلمين، وسرعان ما أقاموا دولتهم إسرائيل، ويطمحون الآن إلى أن تكون من الفرات إلى النيل. فهل وعيتم خطر الهجرة، وعظم الهجرة، وأهمية الهجرة :

﴿ وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ [النساء: ١٠٠] .

\*\*\*

نعم، مكة هي أطيب البلاد، وهي أحب الأماكن إلى العباد : " مَا أَطْيَبُكَ مِنْ بَلَدٍ وَأَحَبُّكَ إِلَيَّ ! " بيد أنها غير صالحة لإقامة دولة المسلمين، وغير ناجعة في حماية المؤمنين .. ولو ظل المسلمون بها ألف سنة ما خرج الإسلام خارج الجزيرة . إلى جانب أن مكة قد تحولت إلى سجن كبير يُحصَرُ فيه المسلمون، ويمارس عليهم شتى أنواع التنكيل، والعاكفُ فيها والبادي إنما يحج ويعتمر تحت حكم الوثنية، برخصة من الأنظمة الشريكية؛ فكان واجباً على الحركة الإسلامية أن تقطع شوطاً جديداً، وأن تبادر بخطوة جريئة، وأن تبحث في جزيرة العرب عن قاعدة جديدة، فكانت خطة رسول الله ﷺ - في مواسم الحج؛ هي البحث عن قبيلة تحمله، أو بلدة تكون مقر دولته، ونقطة انطلاقٍ لرساله إلى أكناف الأرض ...

\*\*\*

وفي قوله - ﷺ - :

" وَلَوْلَا .. أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكَ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكَ " يُظهر لك مدى المعاناة التي لقيتها الدعوة، تلك المعاناة هي التي أوجبت الخروج من مكة، وجعلت من الهجرة واجباً شرعياً أو فريضة دينية أو ضرورة وطنية .

وهو يؤكد خلوص رغبته في السكنى بمكة مادامت صالحة للدعوة .

وهو يُظهر شعوراً عاطفياً مشروغاً في حب الأوطان وإن كانت على الشرك .

وهو يسن سنة استحباب السكن بمكة للدعوة أو للعبادة أو لخدمة الحرم في مواسم الحج ونحوها .





وقال الله تعالى أيضاً - وقد قرن بين الموت والهجرة :-

﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا ۖ﴾ [البقرة: ٢٤٦]  
 ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ  
 وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ [البقرة: ٨٤]

"لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ  
 إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]

\*\*\*

قال شاعر:

إذا ما ذكرت [الوطن] فاضت مدامعي ... وأضحى فؤادي نُهبةً للهاهم  
 حينئذٍ إلى أرضٍ بها اخضرَّ شاري ... وحُلَّتْ بها عني عقود التائم  
 وألطف قومٌ بالفتى أهل أرضه ... وأرعاهم للمرء حقَّ التقام

\*\*\*

جامع القول؛ أن حب الوطن، سجية فطرية سليمة، وشعور إنساني نبيل، ومشاعر  
 وأحاسيس يؤجر عليه المؤمن المغترب، فهي من باب الهم .

\*\*\*

وإن ما سقته إليك - أخي القارئ - يدفع بك إلى مزيد من حب الوطن، وإن  
 أعلى درجات هذا الحب أن تعمل على أسلمة وطنك، ونشر الخير في دياره، وذلك بأن  
 تتعهد عامة الشعب؛ فتقيم أودهم، وتنش عديمهم، وتجبر كسيرهم، وتغني فقيرهم،  
 وتعين مريضهم، وتعلم جاهلهم، وتقرع ظالمهم، وتصلح  
 فاسدهم،... وهذا سبيل المصلحين الذين يغرسهم الله في  
 الأرض بيده .

١- اعلم أن أعظم خدمة تسديها لوطنك؛ هي  
 أسلمته ( نشر الإسلام في ربوعه )

٢- تعرف على المعنى الصحيح لمفاهيم: " الوطنية "، و  
 القومية "، و " الأمة العربية " - وذلك من منظور إسلامي .



~~المصاحب~~

الهجرة؛ أثناه النبي - ﷺ - عن ذلك وقال له :

"عَلَى رِسْلِكَ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي" (١).

~~الراحلة~~

فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - لِيَصْحَبَهُ،  
وَأَعَدَ نَاقَتَيْنِ، وَظَلَّ يَعْلفُهُمَا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ.

~~التخفي~~

﴿ قَالَتْ عَائِشَةُ: فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهْرِ، قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - مُتَقَعًّا فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا! ﴾  
﴿ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءُ لَهُ أَبِي وَأُمِّي! وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ! ﴾  
﴿ قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَاسْتَأْذَنَ، فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - -  
لِأَبِي بَكْرٍ:

"أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ".

﴿ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! ﴾

قَالَ: "فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ".

﴿ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَالْصُّحْبَةُ - بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ - ؟ ﴾

❖ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - "نَعَمْ"

❦ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ - بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ - إِحْدَى رَاحِلَتِي هَاتَيْنِ.

❖ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - ﷺ: "بِالْثَمَنِ" (٢).

~~الزاد~~

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَهَزَ نَاهُمَا أَحَثَّ الْجِهَازِ وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا، فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الْجِرَابِ، فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتُ النَّطَاقَيْنِ.

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦١٦).

### الاستخبارات

قالت عائشة: ثُمَّ لَحَقَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَأَبُو بَكْرٍ بَغَارٍ فِي جَبَلٍ ثَوْرٍ فَكَمْنَا فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ - وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ ثَقِفٌ لَقِنٌ - فَيَذْلُجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا يَكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ<sup>(١)</sup>.

### التمويه

وكانت مهمة عامرُ بْنُ فُهَيْرَةَ - مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ -، أن يأتي بالأغنام لمحو آثار خطوات النبي - ﷺ - وأبي بكر، قالت: "يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ".

### الدليل

وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا، هَادِيًا خَرَبِيَّتًا، ماهِرًا بالطريق، وكان من بني الدليل، مشرگا، لهم حلف مع آل العاص بن وائل، فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاخِلِ، أي القريب من البحر الأحمر

\*\*\*

الجو السائد في أحداث الهجرة، هو جو "الحذر والأخذ بالأسباب" بصورة تثير التعجب والإعجاب. هذا النبي الكريم الذي قبل سنوات قليلة أسرى الله به من مكة إلى الشام في لمح البصر؛ الآن فرض عليه الهجرة من مكة إلى المدينة؛ وأن يكابد فيها المطاردة والصحراء والجوع والعطش والحر والغربة، يكابد كل ذلك على قدميه لا على براق يطير به في ليلة قمرء، لقد أراد الله - تعالى - أن تكون أحداث الهجرة تشريعاً إلى قيام الساعة، لذا كانت إنسانية بشرية، أخذ فيها الرسول - ﷺ - بما استطاع من أسباب الدنيا؛ اختار الصاحب وجهاز الراحلة وأنفق المال واستعان براع وجاسوس، وتحفى بغار موحش مُظلم، وأكل القليل من الطعام ما يكاد يسد رمقه؛ كل هذا لتعلم أن دعوة الإسلام دعوة واقعية، وأن الإسلام لا ينتصر إلا إذا أخذنا له بأسباب الدنيا مع التوكل على الله، وأن المسلم في حياته اليومية مهما بلغ في التعب والتحنث فإن ذلك لن يدفع عنه مذلة الفقر أو مهلكة الجهل، أو معثرة المرض - إلا إذا أخذ بالأسباب

(١) من الكيد، أي ينالهما فيه مكروه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦١٦).

الدنيوية، والعوامل الحياتية، والوسائل المباحة المختلفة التي تعينه على معاشه، فما بالك إذن إن أردنا أن نجعل من الدعوة الإسلامية رائدة الدعوات، ومن الحضارة الإسلامية سيدة الحضارات ؟

علم الله أنه إذا قال في شأن الهجرة النبوية : كوني لكانت؛ وَلَنَقُلَّ النَّبِيَّ - ﷺ - على بساط إلهي من بيته في مكة - حيث يترصده المشركون - إلى بيت أبي أيوب الأنصاري في المدينة، في أقل من طرفة عين، وما ذلك على الله بعزيز، وقد رأيت كيف أسرى بعبده ليلاً من مكة إلى ما أبعد من المدينة .

لكن الذين اتقوا ربهم، يعرفون أن دعوة الله لا بد أن نأخذ لها بقوة، وأن نمهد لها طريقها بسبب، وأن نيسر لها وسائلها بحكمة، وأن نُصرفَ لها الأفكار التي تخدمها من هنا وهنا .

\*\*\*

التوكل والعمل صنوان لأصل واحد، فاعلم أنه لا يُقبل التوكل إلا بحسن العمل، كما أن الأخذ بالأسباب لا يقل وجوباً عن التوكل على الله .

مدارسة حول حديث رسول الله - ﷺ - :

"إِنَّ الْمُهَاجِرَ مَنْ هَجَرَ مَا مَهَى اللَّهُ عَنْهُ، وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ"



﴿إِلَّا نُنْصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ



## ثَانِي اِثْنَيْنِ

الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اِثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ  
إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا لَنَرِي اللَّهَ مُنْزِلًا  
فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا  
وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى  
وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

[التوبة: ٤٠]

\*\*\*

يا ويح مكة ! لم تعد صالحة للدعوة، فالوثنية متأصلة، والجهل مستحكم، والتخلف متجذر، وهذا رسول الله - ﷺ - بُعث فيهم منذ سنوات، فكان عندهم قبل الرسالة الصادق الأمين، وبعد بعثته قالوا: الساحر الكذوب، إذن لابد من أرض جديدة، وبيئة أخرى، وأناس آخرين، فكان الأمر بالهجرة إلى يثرب، فخرج ثاني اثنين، ومكث في الغار ثاني اثنين، وسافر ثانين اثنين، ودخل المدينة ثاني اثنين. إنها غربة الدعوة والداعية.

\*\*\*

وما أعظم هذه المنقبة لأبي بكر - رضي الله عنه - التي تضاهي الجوزاء في عليائها، والشعري في مكانتها.. هذه العتيق الذي صلى خلفه النبي - ﷺ - .. كان ثاني اثنين في الغار، وثاني اثنين في المشورة، وثاني اثنين في العريش، وثاني اثنين في القبر.

قال حسان - رضي الله عنه - يرثي الصديق - رضي الله عنه - :

إِذَا تَذَكَّرْتَ شَجَوًّا مِنْ أَخِي ثِقَةً      فَادْكُرْ أَخَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلَا  
التَّالِي الثَّانِيَ الْمَحْمُودَ مَشْهُدُهُ      وَأَوَّلَ النَّاسِ مِنْهُمْ صَدَقَ الرُّسُلَا  
وِثَانِي اِثْنَيْنِ فِي الْغَارِ الْمُنِيفِ وَقَدْ      طَافَ الْعَدُوُّ بِهِ إِذْ صَعَدَ الْجَبَلَا  
وَكَانَ حَبَّ رَسُولِ اللَّهِ قَدْ عَلِمُوا      خَيْرَ الْبَرِيَّةِ لَمْ يَعِدْ لَهُ رَجُلَا

\*\*\*



ولما أراد الله أن يصور الهجرة، ويسجلها في كتابه، لم يسجل ذلك المشهد الذي استقبل فيه الأنصارُ رسولَ الله - ﷺ - استقبال الزعماء الفاتحين، وهو سيد الفاتحين، إنما صور القرآن موقف النبي - ﷺ - وهو في الغار، في أخرج المواقف، وفي أصعب المشاهد، التي نرى فيها عناية الله تكتن رسول الله - ﷺ - وكأنها دخل رسول الله - ﷺ - إلى كِسْر بيت تحت عرش الرحمن لا في جوف غار. "إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ..."

وهذه الآية نزلت في عام العسرة في ثنانيا التجهز لموقعة تبوك في شهر رجب من العام التاسع للهجرة، نزلت توبخ القاعدين وتحفز المجاهدين شأنها شأن سورة التوبة كلها، فكان لسان الحال : إِلا تنصروا النبي بالخروج معه لقتال الرومان فقد نصره الله من قبل !

وفي أي موضع نصره ؟ وما الموضع الذي ذكره الله تعالى في الآية ؟ هل ذكر بدرًا فقال : " فقد نصره الله في بدر " - وهو يوم الفرقان العظيم - ؟ لا . هل قال : " فقد نصره الله في الأحزاب " - يوم تكالب أهل الأرض على الإسلام - .. لا ، لم يذكر ذلك، ولم يذكر الفتح المبين في صلح الحديبية، ولم يذكر الفتح الأكبر في مكة؛ بل ذكر الفتح الأول، والهجرة الشريفة، والنصر المنسي، والمركة التي دارت رحاها بين الله وحده وبين معسكر الوثنية، وما هي أرض المركة ياترى ؟ لم تكن في ميدان من ميادين القتال المعهودة، بل كانت كهفًا ! نعم هناك كانت المركة، حيث اجتمع أهل الوثن من حول الكهف يقتفون الأثر، ويعلنون المكافئة، وقد رصدوا الجائزة لمن يأتي بمحمد - ﷺ - ، فطلبوه في كل مطلب، وبحثوه في كل مبحث، حتى وصلوا إلى الكهف، حيث حمي الوطيس دون سيوف ورماح، وعلا غبار الحرب دون قتال كالقتال، في تلك المركة الدائرة، بين جبار السموات وجبابرة الأرض ..

هنالك تتجلى القدرة الإلهية، وتهطل العناية الربانية، وتتكاثر سحائب الرحمة، فتظل على خير البرية، هو وصاحبه، إذا هما في الغار، والمشركون محدقون بالمكان، ولو نظر أحدهم أسفل قدميه لانكشف الأمر، ولُقُتِلَ الإسلامُ بقتل مَنْ في الغار، ولكن أبى الله أن ينظروا هذه النظرة، وها هي يد الله تمسك بأحداق المشركين !



وها هي قدرة الله تتحكم في ألحاظ البشر أجمعين .

\*\*\*

وكان رد النبي - ﷺ - لصاحبه؛ رد الواثق الثابت الصابر : لا تحزن، لا تعباً، لا تبالي، خفض عنك .. إن الله معنا .

واهاً لتلك النفس التي تكالب عليها البشر، السانح والبارح، والغادي والرائح...، بيد أن الله معه !

إذن لا شيء ضده ! لا شيء يصدده !

إن الله معنا. كلمة الإيـان التي خرجت من قلب سيد المؤمنين .

"ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟".

إنه نبينا، يلقي ذلك الدرس على قوبنا، وفي هذا الظرف، من جوف الكهف، أن القلوب وأن العيون بيد الله، يقلبها كيف يشاء .

هذه الأحداق التي لو تحركت قيد أنمله لكان الإسلام في أسر الشرك.

وقد وَقَعَ البصر على البصر، بيد أن الله جعل بينهما عجاجة من البلور، أو سداً، يرى ظاهره من باطنه، ولا يرى باطنه من ظاهره .

"فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ" .. سبحان القادر ! كيف تقرر السَكِينَةُ في غار موحش، احتوشته جلاوزة الباطل ! إنها سَكِينَةٌ ليست كأي سَكِينَةٍ، إنها منسوبة إلى الله، سَكِينَتُهُ، هو، وحده، هو، سَكِينَةٌ منه، بموصفات من عنده، وبسمات من لدنه، فالموقف جلل، والأمر خطر. أترأى تترك أنساناً في نقب غائر في جبل مهجور، في صحراء، يقاسي الجوع والظلماء، والعقارب والحيات، يطلبه القاصي والداني من الأعداء، وما يدري أيتيه الموتُ من لدغة حية أو لسعة عقرب، أو من ضربة سيف أو طعنة خنجر ! ؟ لو جمعت له وسائل التسلية وضروب التلهية وأدوية التهذئة ما سكن قلبه طرفة عين، فما بالك بمن مكث في هذا الغار ثلاثة أيام ! لذا كانت سَكِينَةُ الله، وكانت جنود الله - التي لم نرها ولم نعرفها -، وذلك ليخرج الداعية من غاره بحفظ الله، ولتمضي دعوة الله في طريقها، ويتنشر الإسلام، وتعلو كلمة الله العليا .

\*\*\*

ربّ حافظ، ثم داعية وصاحب، ثلاثية لا تقوم لها شيء. والله عزيز حكيم.

\*\*\*

حكمة:

الأخوة التي في شدة الغار، أقامت دولة عاش أبناؤها في رخاء.

مبادرة:

اهجر المعصية، ومكائنها وزمائها. ولا تمر بأهلها إلا داعياً.

تفكير:

اذكر فضل رسول الله عليك - ﷺ - إذا حبس نفسه في الغار وهاجر.. من أجل أن تصل الدعوة إليك.

١- لا تحزن، إن الله مع الداعي إليه

٢- "ما ظنك باثنين الله ثالثهما"، استشعر دومًا مراقبة الله،

وقل في نفسك: الله ناظري، الله رقيب، الله مضطلع علي.



دخلت المدينة المنورة التاريخ؛ لما شرفها الله بهجرة  
محمد - ﷺ - إليها، وفُضِّلَتْ على سائر البلاد -



لماذا

المدينة المنورة؟

حاشا مكة -، وصارت بقعة مقدسة لها حرْمُها، وباتت  
بيضة المسلمين، وعقر دارهم، ومقر دولتهم، وعاصمة  
خلافتهم، ومنها انطلق السفراء إلى بقاع الأرض يحملون  
رسالات الإسلام إلى ملوك وزعماء العالم.

\*\*\*

لقد جعل الإسلام من هذه البقعة الزاوية؛ مدينةً مقدسةً تهفو إليها النفوس، بعدما  
استقبلته وأبت عليه بقاعٌ أخرى، وقد كان النبي - ﷺ - يعرض نفسه على القبائل في  
موسم الحج فلا نصير ولا منعة .

إن الوفاء المحمدي لم يكن مقصوراً على البشر الذين ناصروه؛ بل امتد التقدير  
النبوي للأرض التي نصرت الإسلام .

حينئذ يزول عَجَبُكَ حينما تقرأ هذا العدد الهائل من الأحاديث الشريفة التي  
أُظْهِرَتْ فِي فُضَائِلِ الْمَدِينَةِ .

وكانت المكافئة لها لا تحدها حد..

فكانت البركة فيها ضعفي ما بمكة ..

❦ قال النبي - ﷺ - :

" اللَّهُمَّ اجْعَلْ بِالْمَدِينَةِ ضِعْفَيَّ مَا بِمَكَّةَ مِنَ الْبَرَكَةِ " (١) .

❦ وكانت حرماً كالحرَمِ المكي :

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ : " الْمَدِينَةُ حَرَمٌ؛ فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا أَوْ  
أَوَى حُدُنًا؛ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَدْلٌ وَلَا  
صَرْفٌ " (٢) .

(١) أخرجه البخاري (١٨٨٥) .

(٢) أخرجه مسلم (٣٣٩٦) .

"إِنِّي أَحَرَّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيِ الْمَدِينَةِ<sup>(١)</sup>، أَنْ يُقَطَعَ عِضَاهُهَا<sup>(٢)</sup>، أَوْ يُقْتَلَ صَيْدُهَا"<sup>(٣)</sup>.

﴿ وَظَفَرَت بِدَعَاءِ النَّبِيِّ - ﷺ - :

"اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدَّنَا . اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ وَخَلِيلُكَ وَنَبِيَّكَ، وَإِنِّي عَبْدُكَ وَنَبِيَّكَ، وَإِنَّهُ دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ، بِمِثْلِ مَا دَعَاكَ لِمَكَّةَ وَمِثْلِهِ مَعَهُ"<sup>(٤)</sup>.

﴿ بل استحب النبي - ﷺ - الموت فيها :

فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: " مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ؛ فَلْيَفْعَلْ فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ مَاتَ بِهَا"<sup>(٥)</sup>.

﴿ ... بل المرض فيها :

فَقَالَ: " الْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، لَا يَدْعُهَا أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَبَدَلَ اللَّهُ فِيهَا مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ، وَلَا يَثْبُتُ أَحَدٌ عَلَى لَأَوَائِهَا وَجْهَهَا إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ"<sup>(٦)</sup>.

﴿ وهي محفوظة من شر الدجال ومن شر الأوبئة :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : "عَلَى أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ مَلَائِكَةٌ، لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونَ وَلَا الدَّجَالُ"<sup>(٧)</sup>.

وتنفي الفساق والخبثاء والماجنين والأشرار كما ينفي الكير خبث الحديد  
قَالَ - ﷺ - : "أَلَا إِنَّ الْمَدِينَةَ كَالْكَيْرِ؛ تُخْرِجُ الْخَبِيثَ.. لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَنْفِيَ الْمَدِينَةُ شَرَّارَهَا، كَمَا يَنْفِي الْكَيْرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ"<sup>(٨)</sup>.

(١) أي ما بين حرتيها الشرقية والغربية .

(٢) أي كل شجر فيه شوك، مفردها عضاهة وعضيهة .

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٢٦).

(٤) أخرجه مسلم (٣٤٠٠).

(٥) أخرجه أحمد (٥٤٣٨)، وهو في السلسلة الصحيحة: ٢٩٢٨ .

(٦) أخرجه مسلم: ٢٤٢٦ .

(٧) أخرجه مسلم (٢٤٤٩).

(٨) أخرجه مسلم: (٢٤٥١).

✍ ومن أرادها وأهلها بسوء دمره الله تبارك وتعالى :

~~ومن هذه العوامل :~~

(٣) أخرجه أحمد (٢٤٤٥)، ابن عباس، السلسلة الصحيحة: ١١٠٠.

\*\*\*السيرة النبوية\*\*\*

قتل عاد وإرم! فكنا كثيرًا ما نسمع ذلك منهم .. فلما بعث الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - أجنبناه حين دعانا الى الله تعالى، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به؛ فبادرناهم إليه فأمنّا به، وكفروا<sup>(١)</sup>.

٤- استعداد أهل المدينة للاتفاف حول قيادة تجمع شملهم : فقد أنهكتهم الحروب، التي أفنتهم جيلاً بعد جيل، فساد شعور عام بين الأوس والخزرج ورغبة في إنهاء هذه الثارات إلى الأبد . وقد كانت هذه الحروب تضرم زمناً طويلاً ، وكانت تقوم على أتفه الأسباب، كحرب حاطب التي كانت بين الأوس والخزرج بسبب رجل يهودي !

٥- زوال شيوخ الحروب : وهم قادة القبائل ومسعرو النعرات الجاهلية، وهؤلاء الشيوخ قضت عليهم طاحونة الحروب والفتن، مما مهد الطريق لجيل من الشباب في تبوء زمام القيادة في أقوامهم كسعد بن معاذ وسعد بن عباد وأسعد بن زرارة وغيرهم من الشباب الذين نصرّوا الإسلام؛ فهؤلاء لم تتأصل فيهم النعرات الجاهلية التي رسخت في آبائهم .

\*\*\*

ونزل رسول الله - ﷺ - المدينة المنورة - أدام الله أمنها-؛ فشملها بسياسته الرشيدة، ووحدها برعايته الكريمة .. وأقام - ﷺ - بين الأوس والخزرج؛ فنظّم شملهم، ووصل حبلهم، وجمع كلمتهم، وألف أفئدتهم؛ فانتشرت كلمة العدل، وانشقت عصا الفرقة، وخذت الدماء، ونامت الفتن.

\*\*\*

إن في ذلك لدرس في بناء الدول . إن في ذلك لدرس في إعداد الأمم . هكذا بالمنهج الإسلامي، وبالقيادة الرشيدة، وبالشباب الطاهر، تقوم الجماعات وتبنى الحضارات . فإذا توفرت هذه المقومات الثلاثة : المنهج والإدارة والأتباع؛ فإن مسألة إيجاد الوطن الإسلامي الذي يضم هذه الدعوة - هي في حقيقة الأمر مسألة وقت لا أكثر .

والحرية والأخوة، شرطان ضروريان في الوطن الذي تُبنى فيه دولة الإسلام، فلا قوام لدولة إسلامية في وطن أسير أو تابع أو محتل، ولا قوام لدولة إسلامية في وطن تلتطم فيه أمواج الفرقة والعصبية والنعرات؛ إذ ينبغي أن تجتمع كلمة أبناء هذا الوطن على القيادة الإسلامية في جو الأخوة والمحبة ..

فقد اختار النبي - ﷺ - الوطن الحرّ والشعب المتاحب المجتمعَ حوله.

ومن ثم لم ينزل المدينة غريباً أو ضيفاً أو لاجئاً بل دخلها قائداً وحاكماً.

وقد كان هذا التصور واضحاً غاية الوضوح في أذهان الأنصار.

ووهاً لتلك الأخوة ! تلك الوشيجة التي جعلت الأسود عدلاً للأبيض، تلك التي

قضت على عصبية الجاهلية، وكانت حائط صد لأي فتنة تشوب وحدة المسلمين .

ولذلك كان "محاربة وحدة الصف" هو مدخل أعداء هذه الأمة لاحتلال أرض

المسلمين - وذلك بزرع الشقاق والفتن والفتن والفتن بين الشعوب المسلمة، والمحاولات

الدؤوبة في تقسيم المسلمين إلى طوائف وفرق، وتنشئة قضايا اسمها "أقليات دينية"

و"أقليات عرقية" و"طوائف" في العراق ومصر والسودان والمغرب وغيرها، بحيث

تكون هذه القضايا هي حصان طروادة أو مسمار جحا لدخول هذه البلدان الإسلامية

وانتهاب خيرها واحتلال أرضها وتنصير أهلها . فهبوا يا شباب !

يا أيها الحيّ المقيمونا ... هُبو، فيوشك يوماً لا تهبُّونا

١- زيارة المدينة المنورة - حرسها الله - ، وهي رحلة غير

مكلفة إن عزمت النية .

٢- مطالعة موقع " مركز بحوث دراسات المدينة المنورة "

على الإنترنت .

٣- اقتناء خريطة للمدينة المنورة، تساعدك في فهم

الغزوات .



## بين مرثد

## وعثمان بن طلحة !

مرثد بن أبي مرثد .. علماً في العفة  
كَانَ مَرْتَدُ بْنُ أَبِي مَرْتَدٍ - رضي الله عنه - يَحْمِلُ  
الْأَسْرَى مِنْ مَكَّةَ حَتَّى يَأْتِيَ بِهِمُ الْمَدِينَةَ، فَيَسْتَنْقِذُ  
الْمُسْتَضْعَفِينَ "مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ  
رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ  
وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا" ..

وَكَانَتْ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ [تعمل في الدعارة لِمَكَّةَ يُقَالُ لَهَا  
عَنَاقٌ، وَكَانَتْ صَدِيقَةً لَهُ، أَيَّامَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَإِنَّهُ كَانَ وَعَدَ رَجُلًا مِنْ أَسَارَى مَكَّةَ يَحْمِلُهُ ..  
قَالَ مَرْتَدُ : فَجِئْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى ظِلِّ حَائِطٍ مِنْ حَوَائِطِ مَكَّةَ فِي لَيْلَةٍ مُقَمَّرَةٍ،  
فَجَاءَتْ عَنَاقُ، فَأَبْصَرْتُ سَوَادَ ظِلِّي بِجَنْبِ الْحَائِطِ، فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَيْهَا، قَالَتْ : مَرْتَدُ ؟  
فَقُلْتُ : مَرْتَدُ !

فَقَالَتْ : مَرْحَبًا وَأَهْلًا ! هَلَمْ فَبِتْ عِنْدَنَا اللَّيْلَةَ !

قُلْتُ : يَا عَنَاقُ ! حَرَّمَ اللَّهُ الزَّانَا !

قَالَتْ : يَا أَهْلَ الْخِيَامِ ! هَذَا الرَّجُلُ يَحْمِلُ أَسْرَاكُمْ !

قَالَ مَرْتَدُ : فَتَبِعَنِي ثَمَانِيَّةٌ، وَسَلَكْتُ الْحَنْدَمَةَ، فَانْتَهَيْتُ إِلَى كَهْفٍ أَوْ غَارٍ،  
فَدَخَلْتُ، فَجَاءُوا، حَتَّى قَامُوا عَلَى رَأْسِي؛ فَبَالُوا ! فَظَلَّ بُوْهُمُ عَلَى رَأْسِي وَأَعْمَاهُمُ اللَّهُ  
عَنِّي ! ثُمَّ رَجَعُوا، وَرَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي فَحَمَلْتُهُ، وَكَانَ رَجُلًا ثَقِيلًا، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى  
الْإِذْخِرِ؛ فَفَكَكْتُ عَنْهُ كَبْلَهُ، فَجَعَلْتُ أَهْمِلُهُ، وَيُعِينَنِي حَتَّى قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ  
اللَّهِ - ﷺ - فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْكِحْ عَنَاقًا ؟

فَأَمْسَكَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَلَمْ يَرِدْ عَلَيَّ شَيْئًا، حَتَّى نَزَلْتُ:

﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى

الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣]

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : " يَا مَرْتَدُ .. (الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ  
لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ) .. فَلَا تَنْكِحُهَا"<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه الترمذي (٣١٠١)، وحسنه الألباني .





ويأبى الله أن يذوق المؤمن عسيلة الفاجرة، أو يذوق العريد عسيلة العفيفة،  
﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾

[النور: ٣]

﴿الْخَيْثُوتُ لِلْخَيْثِينِ وَالْخَيْثُوتُ لِلْخَيْثِينِ وَالطَّيِّبَتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦]

### ✍ عثمان بن طلحة .. في ركب العفة

ليس الزاهد الذي يتقشف ويتخفف ويتلفف، إنما الزاهد الذي يتعفف..  
وليس العفيف بقشف الهيئة ولا شعث اللِّمة، ولكنه ظلفُ النفس عن الشهوة  
والشهرة والشبهة !

ولقد ضرب الصحابة المثل في العفة وطهر النفس عن الوكس، فهذا عثمان بن  
طلحة - رضي الله عنه - يرافق امرأة مسلمة - هي أم سلمة - في هجرتها، وصاحبها  
من مكة إلى المدينة، يكلؤها ويحفظها ويصونها ولم يصدر منها فعلة أو قولة تشين  
العفيف، فكان من أخلاقه ما أطنب الناس في ذكره وعفته .

تقول أم سلمة : لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لى بعيره ثم حملني عليه  
وجعل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري، ثم خرج يقود بى بعيره.  
فلم رآته رجال بنى المغيرة قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت  
صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها في البلاد ؟

✍ قالت: فنزعوا خطام البعير من يده وأخذوني منه.

✍ قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد - رهط أبي سلمة-، وقالوا: والله لا  
نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا.

✍ قالت: فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد،  
وحبسني بنو المغيرة عندهم وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة.

✍ قالت: ففرق بيني وبين ابني وبين زوجي.

✍ قالت: فكنت أخرج كل غداة فأجلس في الأبطح، فما أزال أبكى حتى أمسى،

سنة أو قريبا منها!

المغيرة: ألا تخرجون من هذه المسكينة؟ فرقم بينها وبين زوجها وبين ولدها؟!

**✍ قالت: فقالوا الى: الحقى بزواجك إن شئت.**

✍ **قالت:** فرد بنو عبد الأسد إلى عند ذلك ابني، قالت: فارتحلت بعيري، ثم

أخذت ابني فوضعتَه في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة.

**قالت: وما معي أحد من خلق الله.**

حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة ابن أبي طلحة أخا بني عبد الدار، فقال: إلى أين يا ابنة أبي أمية ؟

~~قلت~~: أريد زوجي بالمدينة.

**✍ قال: أو ما معك أحد؟**

✍ **قلت:** ما معي أحد إلا الله وبني هذا.

**✍️ فقال: والله ما لك من مترك.**

فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يهوى بي، فو الله ما صحبت رجلا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثم استأخر عني حتى إذا نزلت استأخر ببعيري فحط عنه ثم قيده في الشجر، ثم تنحى إلى شجرة فاضطجع تحتها.

فإذا دنا الروح قام إلى بعيرى فقدمه فرحله، ثم استأخر عني وقال: اركبى.

فإذا ركبنا فاستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقادني حتى ينزل بي.

فلم يزل يصنع ذلك بى حتى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية بنى عمرو بن عوف بقاء قال: زوجك في هذه القرية، وكان أبو سلمة بها نازلاً، فادخليها على بركة الله.

ثم انصرف راجعا إلى مكة.

فكانت تقول: ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة<sup>(١)</sup>.

وهذا الموقف الزاخر بفضائل جمّة، من الأمانة والشهامة والرجولة والنجدة والمنعة والصدق والعفة والصبر والثبات والوفاء - نرى فيه المعادن الكريمة التي يستخلصها الله للإسلام، وقد صدق رسول الله ﷺ - حين قال :

(١) ابن كثير (السيرة): ٢/ ٢١٥-٢١٧، والقصة ثابتة.

"خِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَّهُوا" (١).

فعثمان بن طلحة في هذا الموقف لم قد يكن أسلم بعد - فقد أسلم بعد الحديبية... فانظر كيف يصطفي الله لدعوته ومن يختار لها ! إنه يختار أمثال هؤلاء رواد العفة، ممن يحفظون فروجهم عن الحرام وأبصارهم عن الحرام .

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أُنْصُرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا

يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠] .

وقد أفلحوا - والله - وركبوا المجد بهذه الأخلاق، ونالوا الجنة بهذه الشيم . قد أفلحوا .

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾

[المؤمنون: ١، ٧] .

ثم تأمل سلوك عثمان بن طلحة خلال هذه الرحلة، وكانت أخلاقه كما وصفت أم سلمة: " فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط ! أرى أنه كان أكرم منه "، فكان إذا بلغ منزلاً في هذه الرحلة أناخ الدابة، واستأخر عن المرأة، واضجع متوارياً، بحيث تتمكن المرأة من قضاء حاجتها وكأنها في خلوتها، فإذا دنا الرواح؛ قام فقدم البعير إليها وتأخر لكي لا يرى عورتها إذا اعتلت ظهر البعير، فإذا اعتلت؛ تقدم أمام البعير، فأخذ بخطامه، وهكذا على مدار الرحلة، ولعله بذلك لم ينظر إليها نظرة واحدة !

إنها معايشة العفة ! لحظة بلحظة، وحركة بحركة، وسكنة بسكنة، صباح مساء، في السفر وفي الحضر، في الخلوة وفي الجمعة، وهكذا المسلم، يعيش العفة كما يعيش الحياة، لا يقع بصره على الحرام من عورات وفجرات، أو القراءة في أدب المرحاض والمقدمات والمؤخرات مما يؤجج الشهوة ويحرك الغرائز، ولا تسمع أذنه كلام النوكى والفساق، أو حديث الخنا وفحش القول وهجره، ولا تمشي قدمه إلى قرعهر، أو بيت فجر، أو موضع سُكر، لا تقع يده على رقعة لحم لا يحل له مساسها .

(١) أخرجه أحمد : ٩٩٠٥، وصححه الألباني، انظر حديث رقم : ٣٢٦٧ في صحيح الجامع .

## حتى القلب ....!

يَنْظِّفُهُ، ويجلو ما به من أنات العشق، ورنات الشهوة، وخطرات الجنس، فيطفيء المؤمن ذلك بدلو الذكر الفياض، والصيام والقيام، والصلة والبر، وصدقة السر، فيقر القلب، ويسكن، ويطمأن بذكر الله .

ولو قُدر لرجل خليع أن يكون في موقف عثمان بن طلحة - رضي الله عنه - مع فتاة من بنات زماننا؛ لسمعنا عما تمخضت عنه هذه الرحلة من قصة عشق آثم، ومخادنة محرمة، ويكون الشاب الخليع هو الحبيب الحقيقي للسيدة، ويكون زوجها هو الحبيب الرسمي أمام المجتمع والقانون . ومثل هذه العلاقات؛ يأتي منها خراب البيوت، ودمار الأسر، ولسمعنا في ذلك العجب العجائب، وإذا زُفت الفتاة الفاسدة إلى زوجها، فإن عليها أن تقسم بالأيمان المغلظة أنها ستكون لعشيقتها بعد الزواج، بل نسمع أن منهن من تكتب لعشيقتها ( وثيقة حب ) تعاهده فيها أنها له لا لزوجها .

## ❦ قالوا في العفة :

❦ قال قدامة بن جعفر: من أقسام العفة: القناعة، وقلة الشره، وطهارة الإزار، وغير ذلك مما يجري مجراه.

❦ قال أبو الحسن علي بن عيسى الرمانى الشيخ الصالح: العفة واسطة بين المقارفة والعصمة

## " العفة جيش لا يهزم "

❦ وقيل للأحنف: ما المروءة؟ قال: العفة والحُرْفة

❦ وقال القلقشندي : وأما العفة فيدخل تحتها: القناعة، وقلة الشره، وطهارة الإزار، وغير ذلك مما لا يستغني عنه رجل ولا امرأة، وإذا ركب العقل مع العفة حدث عنهما صفات أخرى مما يتمدح به: كالنزاهة، والرغبة عن المسألة، والاقتصار على أدنى معيشة، ونحو ذلك مما ينخرط في هذا السلك.

## ❦ وقال الشاعر:

خلوت بها ليلاً ولم أقض حاجةً ... ولست على ذاك العفاف بنادم

## ❦ وقال المتنبي :

عفيف تروق الشمس صورة وجهه ... ولو نزلت شوقاً لحاداً إلى الظل

قال الواحدي في شرح هذا البيت : يقول الشمس تستحسن صورة وجهه فلو نزلت إليه الشمس شوقاً إليه؛ لمال عنها وعف، يريد أنه عفيف عن كل أنثى حتى عن الشمس

#### ✍ نساء عفيفات

✍ قال الراغب الأصفهاني - صاحب محاضرات الأدباء - :

كانت قرشية رأى شعرها رجل فحلقتة وقالت: لا أريد شعراً اكتحل به نظر غير ذي محرم..

#### ✍ دعاء في العفة

✍ كان من دعاء النبي ﷺ - :

"اللهم إنا نسألك العفاف والغنى ، والتقى والهدى ، وحسن عاقبة الآخرة والدنيا ، ونعوذ بك من الشك والشقاق ، والرياء والسمعة في دينك ، يا مقلب القلوب لا تنزع قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة ، إنك أنت الوهاب <sup>(١)</sup>"

#### ✍ وكان من دعاء أحد الصالحين :

اللهم ثبت أقدام أدياننا على سنن العفة والورع، ألبسنا جلباب الصيانة والنزاهة عن الهوى المتبع، زين قلوبنا بزينة اعتقاد الحق، حل ألبستنا برونق قول الصدق، اجعل جواهر عقائدنا منظومة في سلك الكتاب والسنة، محفوظة بحسن متابعة السلف الصالح أعلام الأمة.

١- أن تحرص على نشر قيمة العفة والحجاب، من خلال

الكتيبات والأشرطة والملصقات وغيرها من الوسائل .

٢- أن تحذر أهلك وجيرانك من عواقب التبرج والعري

والعشق المحرم والاختلاط والانحلال الأخلاقي، التحذير مما

تقوم به بعض وسائل الإعلام من نشر الميوعة والفجور

والعهر والدُّعْر والفُجْر، في إطار مسلسل تلفزيوني هابط، أو

فيلم سينمائي ساقط ...

٣- أن تحذر الشباب من إطلاق البصر ومن العادة السرية ،



فمن فعل الأولى وقع في الثانية، ومن ملك خطراته ملك بصره ومن ملك بصره ملك زمام نفسه . فهذه العادة الخبيثة وغيرها من الأفعال الجنسية الشنيعة هي مما يَرْتُق العيش، ويطيل السهد، ويقلق المضجع، ويغير الوجه، ويشحب الجسم.

إن كانت الغُلمة <sup>(١)</sup> هاجت بكم ... فعالج الغلمة بالصوم

ليس بك الحب ولكننا ... تدور من هذا على الكوم

٤- أن تحرص على الزواج - والله في عون قاصد العفاف - أو الصوم بنية الاستغفار، لقول النبي - ﷺ - : " مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ " <sup>(٢)</sup> .

٥- وأخيراً، إذا أردت أن يصطفيك الله لمهمة، وإذا أردت أن يجتبيك الله لرسالة، فاحرص على العفة - كما اصطفى الله عثمان بن طلحة - وتعلم فضائلها، وتعرف على فوائدها وثمراتها، التي من أهمها : النجاة من الأمراض الجنسية، والظفر بالصحة وسلامة الجسم، وطهارة النفس والمجتمع، وقوة الإرادة والعزيمة، والسعادة الزوجية، وصيانة البيوت، والطمأنينة وراحة البال، وفوق كل هذا الفوز برضا الله وجنته .



(١) الغلمة هي الرغبة في الجماع .

(٢) أخرجه البخاري : ١٧٧٢ .





# الفصل السابع

## بناء الدولة





إن اللبنة الأولى التي ضربت في الأرض - فور وصول الرسول ﷺ - إلى المدينة؛ كانت في بناء المسجد.



## بناء المسجد

كان البناء الأول، والمؤسسة الأولى، والمدرسة الأولى، والجامعة الأولى،...

\*\*\*

بل لما دخل النبي ﷺ - قباء - في بني عوف - ومكث فيها بضعة عشرة ليلة، لما يخرج منها إلا وقد أسس مسجد قباء، ذلكم المسجد الذي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى، وقد أشار القرآن إليه بذلك، فقال الله تعالى :

﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رَبِّ اجْعَلْ لِي ذِكْرًا فَتَعْلَمَ أَنِّي صَدَقْتُ﴾ [التوبة: ١٠٨].  
وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطْهَرِينَ

وركبُ النبي ﷺ - راحلته، من قباء إلى موضع المسجد النبوي في المدينة، فبركت ناقته الكريمة في هذا الموضع، وقد كان قبل بناء المسجد عبارة عن مساحة أشبه بمخزن مفتوح لحزن التمر، وكانت هذه المساحة لِعُلَّامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي كِفَالَةِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ، وقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - حِينَ بَرَكْتَ بِهِ رَاحِلَتُهُ الْمُبَارَكَةُ :

" هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْمَنْزِلُ ! " (١).

ثم دعا النبي ﷺ - الغلامين؛ رغبةً منه في شراء هذه القطعة منهما لتبنيها مسجداً؛ فقالا : " لا؛ بَلْ نَهَبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ فَأَبَى صَاحِبُ الْخُلُقِ الْكَرِيمِ أَنْ يَقْبَلَهَا مِنْهُمَا هِبَةً حَتَّى ابْتَاعَهَا مِنْهُمَا ثُمَّ بَنَاهَا مَسْجِدًا " (٢).

\*\*\*

ثم طفق رسولُ الله ﷺ - في إعداد قطعة الأرض هذه وتجهيزها للشروع في إقامة المسجد.

(١) انظر صحيح البخاري (٣٦١٦).

(٢) انظر صحيح البخاري (٣٦١٦).

عملية التجهيز هذه هي :

- قطع النخيل الموجود على هذه المساحة .
- إزالة قبور قديمة كانت للمشركين .
- تسوية الحرب، وكانت بقايا مساكن قديمة .

\*\*\*

وبدأت أعمال البناء، ورسول الله - ﷺ - ينقل الحجارة بنفسه مع أصحابه، ويقول :

" اللَّهُمَّ إِنَّ الْأَجْرَ أَجْرُ الْآخِرَةِ

فَارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ" (١)

يسلي بها أصحابه، ويحمسهم ، وقد كانت هذه سنته في أعمال البناء أو الحفر، وقد فعل مثل ذلك في حفر الخندق؛ يشاركهم بيده في الحفر، ويشاركهم بلسانه في ترديد الأناشيد؛ غير أنه - بأبي هو وأمي - لا يعرف الشعر، ولعله ذكر البيت فكسر وزنه أو أخل بقافيته؛ عمدًا منه أو عن غير عمد، وقد قال فيه ربه :

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ [يس: ٦٩]

تخيل نفسك وأنت تشاركه في بناء المسجد، يحمل كما تحمل، ويصنع كما تصنع، وفوق ذلك هو يحمسك ويلطفك بأسلوبه العذب الفكه، وقد كان لطيفًا، بسام المحيّا، سهلاً سمحًا، لين العريكة، يضع اللبنة بيده بينما ينظر إليك ويرتجز قائلاً :

"هَذَا الْحِمَالُ لَا حِمَالَ خَيْرٌ .. هَذَا أَبْرُ رَبَّنَا وَأَطْهَرُ"

يعني، هذا المحمول من قطع اللبن هو خيرٌ عند الله وأبر وأطهر من ثمار خيبر، أي، لا تكثرث بشطف المدينة، ولا تحزن أن متع الله الكافر بالنعمة، بينما المؤمن يكابد الفقر والحاجة .

ولعمر الله، لعله قال ذلك بمناسبة قطع هذه النخيل التي كانت مكان المسجد، فلئن خسرنا شيئاً من ثمرات هذه النخيل؛ فإن الثمرة الباقية الطاهرة هي في هذه اللبنة، هي ثمرةٌ خيرٌ من ثمار خيبر، هي ثمرةٌ ربنا وهي أبر وأطهر، فهي لبنات لتأسيس مسجد سيتخرج فيه قادة العالم، وسادة الدنيا؛ تلاميذ محمد ﷺ .



التعبدية، لذا كان المقترح المقبول الذي أيده الله من السماء هو ذلك المقترح الجديد الذي لم يسبق إليه أحد، ذلك هو الأذان.

وارتبطت هذه الفكرة بعبدالله بن زيد صاحب الفكرة، وقد نام ليلتها مهمومًا مشغولاً بهذه القضية، يريد هو الآخر أن يقدم فكرته للنبي ﷺ، وقد علمت أن الرؤى والأحلام هي جزءٌ من اهتمامات الإنسان، فمن أهمه شيءٌ؛ فكثيرًا ما يرى رؤيا تتعلق بما أهمه، كمن نام على ظمإٍ فرأى مروجًا وأنهارًا، أو كالذي نام على شوقٍ لأخ من إخوانه فرآه في المنام، كذا هذا الصحابي الجليل نام على هم الأمة، ووقد إلى فراشه وقد أثخنه مشكلات رسالته، وقد أرقته كثيرًا هذه القضية، كيف نجتمع الناس للصلاة؟ فلم يتكل على اقتراحات المقترحين، بل لم ينتظر أن يتنزل في هذا الشأن آيات بينات أو حسماً سريعاً من النبي نفسه وهو الذي يأتيه الوحي من السماء، ولم يقل مثلاً: "البركة في إخواننا نتركهم يفكرون ويخططون، فهم أكثرُ منا فهمًا، وأعلى منا كعبًا، وأسبق منا قدمًا" .. وغير ذلك من كلام السليبين الوادعين الحالمين.

إن هؤلاء الرجال كانوا على قدر عالٍ من الشعور بالمسؤولية نحو دينهم ودعوتهم وأمتهم، رغم أن الله متعهم بحياة النبي ﷺ. -  
إن هؤلاء الرجال كانت لهم طبيعة عجيبة في أخلاق الإيجابية النشطة، وسلوكيات الذاتية المتفردة.

لقد كانوا أصحاب مخترعات وابتكارات ..  
كانت لهم فطرة سليمة، وطريقة رشيدة، وجبلة موزونة، كان لهم ذكاء وقاد، وفكر ثاقب، وبصيرة مبصرة، وألمعية مهذبة، وهمة عالية.

\*\*\*

ويبدو لك ولي من هذا الجو؛ أن السمة السائدة بين الصحابة في عملهم الإسلامي هي سمة الإبداع، وتشجيع الابتكار في كل ما يخدم الدين من وسائل ومسائل .  
قد خسر الذين تحجروا واسعًا في أمر الإبداع للدين وخلطوا بين الابتداع في الدين والإبداع له، ولو ترى الذين حرّموا "الت" حينما ظهر، وحرّموا التلفاز حينما اخترع، ولعلك تعجب من كون هذا قد حدث، وهو كما تعلم له من الأثر السلبي المريع على

سمعة الدين وسمعة المؤمنين. وإن تعجب فعجبٌ صنعهم أن هم، هم، من قاموا بعد ذلك بإنشاء موقع شخصي لهم على الإنترنت، وهم، هم، من ظهوراً على شاشات الفضائيات وشاركوا ببرامج وفقرات .

\*\*\*

#### الدور الحقيقي للمسجد :

... وأقيم المسجد النبوي بأطهر السواعد، وسجدت فيه أظهر الجباه، وكان المسجد عامراً صباح مساء، تقلب ناظريك فيه فترى رجلاً ساجداً، وآخر يقرأ منفرداً، وثلة قد جلست وحلقت يتدارسون سورة من القرآن، بينما جلس النبي ﷺ - إلى وفد من النصارى يعرض عليهم الإسلام، كان المسجد مؤسسة إسلامية جامعة، فيها تقام الصلاة، وفيها يعقد مجلس الشورى، وفيها تعقد الألوية، ومنها تنطلق الجيوش، وفيها مجالس العلم، ومجالس الذكر، ومجالس القضاء، ومجالس الصلح، والأفراح والعرس، والرياضة والمصارعة، وفيها يُستقبل الجرحى والمصابين للمعالجة، وفيها يلتقي قائد الأمة بالوزراء والسفراء والوفود والشعراء.

\*\*\*

فأحرى بنا أن نعيد للمساجد دورها، وأن نجعل منها مؤسسات تربوية جامعة لا صوامع محظورة خاوية .  
إن الذين حظروا المسجد، وحجموا دوره، وغيبوا رسالته، وقيدوا رجاله وأئمة، سينا لهم غضب من الله، وعذاب بئس في الدنيا والآخرة، في الدنيا بالخزي والصغار والعار، وفي الآخرة بالعذاب والنار والدمار..

#### قال الله تعالى فيهم :

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهِ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

[البقرة: ١١٤]

علينا أن نعيد الحياة الإسلامية الشاملة لبيوت الله ولا نخشى في الله لومة لائم، ذلك لتعلم؛ أنه لا نهضة لهذه الأمة ولا تقدم لها ولا رفعة إلا برجال ربانيين تخرجوا

من جامعة المسجد، ذلك لتعلم؛ أن النهضة الإسلامية القادمة والتي أوشكت على الظهور ستخرج بإذن الله من مساجد الله.

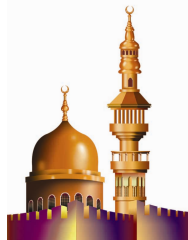
﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا لِلَّهِ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨]

١- شارك مع أصدقائك في عقد مقراءة أو حلقة مسجدية أسبوعية لمدارس العلوم الشرعية بمسجد من المساجد القريبة منكم، وحذا لو استضيفتم فيها شيخاً ولو بأجر .

٢- لتصح من أقبل على الزواج بإشهار عقد زواجه في بيت من بيوت الله، في حفل إسلامي بهيج، فيه خطبة النكاح العربية الأصيلة، وفيه أنشودة الزفاف الإسلامية العفيفة .

٣- ساهم في مشاريع دعوية مسجدية مثل مشاريع " تحفيظ القرآن "، " حلقات محو الأمية للكبار "، " حلقات دروس اللغة العربية "، وكفالة الأيتام، وصندوق الزكاة، وتزويج المساكين، ومشروع دروس التقوية الخصوصية لأبناء الفقراء، وغيرها من المشاريع التي تسهم في إحياء دور المسجد.

٤ - تفعيل فكرة " ظل الشيخ "، وهي أن تصاحب شيخ المسجد، وتمده بالجديد من إصدارات الدعوة، وترشده إلى أنسب الموضوعات، وتتحفه بأطياب الأطروحات، وتُبصره بطبيعة جمهوره، وتناقشه في إيجابيات وسلبيات خطبته، وردود أفعال الجماهير على درسه وموعظته.





## المواخاة

"تَأَخَّوْا فِي اللَّهِ أَخَوَيْنِ أَخَوَيْنِ"<sup>(١)</sup>.



## حلف المطيعين

## وحلف الفضول

بهذه التوصية النبوية الكريمة كانت بداية المجتمع الإسلامي الجديد في المدينة المنورة بعيد بناء المسجد النبوي، فشرع رسول الله - ﷺ - يمزج بين عنصري الأمة الإسلامية الناشئة، المهاجرين والأنصار، مزجاً شديداً، بمزاج غليظ، وبرباط وثيق .. إنه رباط "الإخوة في الإسلام".

فقرر أن يكفل كل أنصاري مهاجراً، فيغنيه مما يحتاجه من لوازم الدنيا، من مأكّل ومسكن وخلافه .

وأن يكفل كل مهاجر أنصاريّاً، فيغنيه مما يحتاج من لوازم الدين، من تزكية، وتعلم الكتاب والحكمة.

وتبلغ الأخوة ذروتها وأعلى مراتبها؛ حين قرر الشرع السماح - في بادئ الأمر - أن يرث كل منهما الآخر، ثم نسخ هذا الحكم، لما تحققت أهداف الأخوة.

## ثنائيات في الله !

وعلى إثر التنبيه النبوي الكريم (تَأَخَّوْا فِي اللَّهِ أَخَوَيْنِ أَخَوَيْنِ)؛

كان أبو بكر الصديق، وخارجة بن زهير، أخوين.

وعمر بن الخطاب، وعثمان بن مالك، أخوين.

وأبو عبيدة بن عبد الله بن الجراح، وسعد بن معاذ، أخوين .

وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن الربيع، أخوين .

والزبير بن العوام ، وسلامة بن سلامة بن وقش، أخوين .

وعثمان بن عفان ، وأوس بن ثابت ، أخوين .

وطلحة بن عبيد الله ، وكعب بن مالك ، أخوين .

وسعد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وأبيّ بن كعب أخوين.

ومصعب بن عمير ، وأبو أيوب خالد بن زيد، أخوين.



### ﴿نُقْبَاءُ فِي الْأُخُوَّةِ﴾

وفي ثنايا أحداث التآخي العظيمة، مات أسعد بن زرارة الأنصاري - رضي الله عنه - وهو يشارك في بناء المسجد النبوي، وقد كان أسعد بن زرارة نقيب إخوانه وأهله، لعلمه وخلقه ومكانته .

فاجتمعت بنو النجار إلى رسول الله - ﷺ - وكان أسعد بن زرارة نقيبهم فقالوا له : يا رسول الله إن هذا قد كان منا حيث قد علمت فاجعل منا رجلاً مكانه يقيم من أمرنا ما كان يقيم .

﴿ فقال - ﷺ - لهم : " أنتم أخوالي ، وأنا بما فيكم ، وأنا نقيبكم " .. وكره رسول الله - ﷺ - أن يخص بها بعضهم دون بعض فكان من فضل بني النجار الذي يعدون على قومهم أن كان رسول الله ﷺ نقيبهم <sup>(١)</sup> . وهو جانب من مظاهر التآخي التي أخذ رسول الله - ﷺ - على عاتقه في ترسيخ معانيها، وتطبيق مراميها .

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ١٠] .

### ﴿نِعْمَةُ عَظِيمَةٍ﴾

وقد امتن الله على المسلمين الأوائل بأن جمع لهم شملهم، وجمع قلوبهم، وألف بينهم، وذلك لعظيم نعمة الأخوة في الله، التي جعلها الله ركناً من أركان النصر:

﴿ قال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢، ١٠٣] .

### ﴿قُوَّةُ الْأُخُوَّةِ أَقْوَةُ مِنْ قُوَّةِ الْمَالِ :﴾

وقد بين المولى - تبارك وتعالى - المقدار المادي للأخوة في مقاييس الناس، فذكر أن مال الدنيا ومال ملوكها لا يعدل شيئاً في قوة الأخوة، .. وأن الأخوة تصنع ما لا يصنعه المال .. وأن الأخوة أنجع أثراً، وأحسن ثمرة من أثر وثمر المال :

(١) انظر : ابن هشام ١/ ٥٠٧، ٥٠٨ .

قال الله تعالى :

﴿وَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣]

تعاليم الأخوة

ولقد كان رسول الله - ﷺ - يعلم المسلمين الأخوة كما كان يعلمهم الصلاة، حتى روى عنه الرواة مئات الأحاديث في فضل الأخوة وحققها وآداها ..  
وهاك نماذج من تعاليم المصطفى - ﷺ - في الأخوة الإسلامية، التي جعل الإسلام منها عبادة في الدنيا، وظلال تحت عرش الله يوم القيامة، ومجالس كرامة جنات الخلد - نسأل الله أن يرزقنا وإياكم الفردوس الأعلى - :

١- جسد واحد

روى النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ عن رسول الله - ﷺ - أنه قال :  
" مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى " (١).

٢- رجل واحد

قال النبي - ﷺ - : " الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِنْ اشْتَكَى رَأْسُهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ " (٢).

٣- في ظلال العرش

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : " إِنْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ لِحَلَالِي؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي " (٣).

٤- في محبة الله

وعن معاذ بن جبل قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول :  
" قال الله تعالى : وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ " (٤).

(١) أخرجه مسلم (٤٦٨٥).

(٢) أخرجه مسلم (٤٦٨٦).

(٣) أخرجه مسلم (٤٦٥٥).

(٤) أخرجه أحمد (٤٨ / ١٢٩) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح، برقم ٥٠١١.

(٥) أخرجه مسلم (٨١).

١- أن تتأخى مع إخوان المسجد .. واستحضر في ذلك معاني الأخوة وثوابها الفضيل.

٢- وليكن لك أخ يعينك على الطاعة، تتعرف عليه ويتعرف عليك، تفهمه ويفهمك، تكفله ويكفلك، فعلاقة الأخ بإخوانه علاقة تعارف مستمر، وتفاهم واعي، وتكافل شامل.

٣- انضبط بآداب الأخوة، وأد حقوقها، كما في الحديث الشريف، "حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتُّ" .. قيل : وما هن يا



رسول الله ؟

قَالَ : " إِذَا لَقَيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَسَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدَّهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ" (١).

٤- المداومة على زيارة الإخوان، والتحرك والسير لأجل ذلك، فعن النبي ﷺ - :  
"أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخَاهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ أَتَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ : أُرِيدُ أَحَا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ : هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا ؟ قَالَ : لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ : فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ؛ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحَبَّتُهُ فِيهِ" (٢).

٥- أن تخبر أخاك بحبك له، فتقول : "إني أحبك في الله"، قال رسول الله ﷺ -  
"إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ" (٣)، وعن أنس أَنَّ رَجُلًا كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ -  
فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لِأَحِبُّ هَذَا ! فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ - : "أَعْلَمْتُهُ ؟" ..  
قَالَ : لَا، قَالَ : "أَعْلَمْتُهُ"، فَحَقَّقَهُ فَقَالَ : إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللَّهِ ! فَقَالَ : أَحَبَّكَ الَّذِي  
أَحْبَبْتَنِي لَهُ (٤).

(١) أخرجه مسلم (٤٠٢٣).

(٢) أخرجه مسلم (٤٦٥٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٤٥٩) وصححه الألباني.

(٤) أخرجه أبو داود (٥١٢٥)، وحسنه الألباني.

﴿السَّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ﴾ ٢٧٣  
 وقد قال رسول الله - ﷺ - لمعاذ: "يَا مُعَاذُ! وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ! وَاللَّهِ إِنِّي  
 لَأُحِبُّكَ!!" (١).

٦- تَخَلَّقَ بِخَلْقِ الْإِيثَارِ مَعَ إِخْوَانِكَ، فَإِنْ قُلْتَ مَا الْإِيثَارُ، قُلْتُ: اقْرَأْ هَذَا الْمَثَالَ:  
 قال حذيفة العدوي: انطلقت يوم اليرموك [ المعركة ] أطلب ابن عم لي، ومعي  
 شيء من الماء وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته، فإذا أنا به فقلت له: أسقيك؟ فأشار  
 برأسه أن نعم، فإذا أنا برجل يقول: آه آه، فأشار إلي ابن عمي أن أنطلق إليه، فإذا هو  
 هشام بن العاص، فقلت أسقيك؟ فأشار أن نعم، فسمع آخر يقول آه آه. فأشار  
 هشام أن أنطلق إليه فجئته، فإذا هو قد مات، فرجعت إلى هشام، فإذا هو قد مات،  
 فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات.



(١) أخرجه أبو داود (١٣٠١)، وصححه الألباني.

## دستور

## الدولة

في الفترة ما بين أغسطس ٦٢٢ و يونيو ٦٢٤م، بعد الهجرة وقبل معركة [ ٢ هـ ]، كتب النبي - ﷺ - وثيقة - أو بمعنى عصري دستوراً - لدولة المسلمين بالمدينة، تضمن هذا الدستور على نيّف وأربعين بنداً، غالبها في تنظيم الشأن الداخلي للأمة الإسلامية، واشتملت على بنود تُقنن العلاقات بين جميع طوائف وفصائل المجتمع المدني؛ مهاجرين وأنصاراً، ويهوداً ووثنيين، وقد نصت هذه البنود بشكل صريح في ضرورة تكاتف جميع الفصائل والطوائف في صد وردع أي عدوان على المدينة المنورة، كما أكدت على أسس غاية في الأهمية - لأي دولة ناشئة -؛ فأكدت على أن الحاكمية لله ورسوله، وأن المرجعية لله ورسوله، وأن المسلمين أمة واحدة من دون الناس، وأكدت على ضرورة إقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصح، الأخوة، والقسط، والعدل، والتكافل الاجتماعي على مستوى الأسرة والقبيلة والدولة، كما نصت على حرمة المدينة المنورة، وحرمة الاتصال بقريش ومعاونتهم، وحرمة الغدر والخيانة والخروج على الجماعة . وقد درسها المستشرق الروماني جيورجيو ( المولود عام ١٩١٦ )، فأعجب بها أيما إعجاب، وكتب عنها كلمة سائرة في كتابه "نظرة جديدة في سيرة رسول الله" - الذي ترجمه الدكتور محمد التونجي [ ص ١٩٢ ] -، فقال :

"وقد حوى هذا الدستور اثنين وخمسين بنداً ، كلها من رأي رسول الله . خمسة وعشرون منها خاصة بأمور المسلمين وسبعة وعشرون مرتبطة بالعلاقة بين المسلمين وأصحاب الأديان الأخرى ، ولاسيما اليهود وعبداء الأوثان . وقد دون هذا الدستور بشكل يسمح لأصحاب الأديان الأخرى بالعيش مع المسلمين بحرية، ولهم أن يقيموا شعائرهم حسب رغبتهم ، ومن غير أن يتضايق أحد الفرقاء . وضع هذا الدستور في السنة الأولى للهجرة، أي عام ٦٢٣ م . ولكن في حال مهاجمة المدينة من قبل عدو عليهم أن يتحدوا لمجابهته وطرده ."







"وإن ليهود بنى النجار مثل ما ليهود بنى عوف.

"وإن لليهود بني الحارث مثل ما لليهود بني عوف.

"وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف.

"وإن ليهود بن جشم مثل ما ليهود بني عوف .

"وإن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف.

"وإن لليهود بني ثعلبة مثل ما لليهود بني عوف إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته"<sup>(١)</sup>.

✍ حُرْمَةُ الْمَدِينَةِ شَرَفُهَا اللَّهُ :

"وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة"<sup>(٢)</sup>.

**حُسن الجوار:**

"وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم." (٣)

**✍ احترام أمان المسلم :**

"وإن ذمة الله واحدة، يجير عليهم أدانهم، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس." (٤١).

فلأي مسلم الحق في منح الأمان لأي إنسان، ومن ثم يجب على الأطراف أن تحترم هذا الأمان، وأن تجير من أجاز المسلم، ولو كان المجير أحقرهم.

فَيُجِيرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَدْنَاهُمْ، بِمَا فِي ذَلِكَ النِّسَاءَ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - لَأُمِّ هَانِيٍّ: "أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتَ يَا أُمَّ هَانِيٍّ" <sup>(٥)</sup>.

**✍ الأمن الاجتماعي وضمان الديات :**

"وَإِنَّهُ مَنْ اعْتَبَطَ [ أَيْ قَتَلَ ] مُؤْمِنًا قَتْلًا عَنْ بَيْتَةٍ فَإِنَّهُ قَتَلَهُ لَا إِنْ يَرْضَىٰ - وَلِيِ الْمَقْتُولِ (بالعقل)، وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ كَافَّةٌ، وَلَا يَحِلُّ لَهُمُ الْإِقِيَامُ عَلَيْهِ" (١).

(۱) ابن هشام ۱ / ۵۰۱ .

(۲) ابن هشام ۱ / ۵۰۱ .

(۳) ابن هشام ۱ / ۵۰۱ .

(٤) ابن هشام ١ / ٥٠١ .

(٥) أخرجه البخاري (٣٤٤).

(٦) ابن هشام ١ / ٥٠٣ .

وبهذا أقر الدستور الأمن الاجتماعي، وضمنه بضمان الديات لأهل القتل، وفي ذلك إبطال لعادة الثأر الجاهلية، وبين النص أن على المسلمين أن يكونوا جميعاً ضد المعتدي الظالم حتى يحكم عليه بحكم الشريعة ..

✍ **الدعم المالي للدفاع عن الدولة مسؤولية الجميع :**  
 "وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين." (١).

فعلى كل الفصائل بما فيها اليهود أن يدعموا الجيش مالياً وبالعدة والعتاد من أجل الدفاع عن الدولة، فكما أن المدينة وطن لكل الفصائل، كان على هذه الفصائل أن تشترك جميعها في تحمل جميع الأعباء المالية للحرب.

✍ **الاستقلال المالي لكل طائفة :**  
 "وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم" (٢).

فمع وجوب التعاون المالي بين جميع طوائف الدولة لرد أي عدوان خارجي، فإن لكل طائفة استقلالها المالي عن غيرها من الطوائف.

✍ **التضامن ضد الخائنين**  
 "وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيسة ظلم، أو إثم أو عدوان، أو فساد بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعاً، ولو كان ولد أحدهم" (٣).

✍ **وجوب الدفاع المشترك ضد أي عدوان :**  
 "وإن بينهم النصر على من دهم يثرب." (٤).

"وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة" (٥).

وفي هذا النص دليل صريح على وجوب الدفاع المشترك، ضد أي عدوان على مبادئ هذه الوثيقة .

وبموجب هذا النص حُكم بالإعدام على مجرمي قريظة - بعد معركة الأحزاب (في ذي القعدة ٥ هـ/ إبريل ٦٢٧ م) - ، لما تحالفوا مع جيوش الأحزاب الغازية للمدينة،

(١) ابن هشام ١/ ٥٠٣ .

(٢) ابن هشام ١/ ٥٠٣ .

(٣) ابن هشام ١/ ٥٠٣ .

(٤) ابن هشام ١/ ٥٠٣ .

(٥) ابن هشام ١/ ٥٠٣ .

وبغوا و خانوا بقية الفصائل، رغم أنهم أبناء وطن واحد !

✍ النصح والبر بين المسلمين واليهود :

✍ وجاء في هذا الأصل :

"وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم"<sup>(١)</sup>

فالأصل في العلاقة بين جميع طوائف الدولة - مهما اختلفت معتقداتهم - هو النصح المتبادل، والنصيحة التي تنفع البلاد والعباد، والبر والخير والصلة بين هذه الطوائف.

✍ حرية كل فصيل في عقد الأحلاف التي لا تضر الدولة

"وإنه لا يأثم امرؤ بحليفه"<sup>(٢)</sup>

✍ وجوب نصره المظلوم :

"وإن النصر للمظلوم."<sup>(٣)</sup>

✍ تحريم التعاون مع الإعداء ضد المسلمين :

"وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها"<sup>(٤)</sup>.

✍ حق الأمن لكل مواطن :

"إنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم، وأن الله جار لمن بر

واتقى، ومحمد رسول."<sup>(٥)</sup>.

✍ حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر مكفولة لكل فصائل الشعب:

"وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، ومواليهم

وأنفسهم إلا من ظلم نفسه وأثم فإنه لا يُوْتغ [ أي يهلك ] إلا نفسه وأهل بيته."<sup>(٦)</sup>.

اكتب مقالة حول أهم المبادئ والأسس التي تناولها الدستور الإسلامي بالمدينة والمنورة.



(١) ابن هشام ١/ ٥٠٣ .

(٢) ابن هشام ١/ ٥٠٣ .

(٣) ابن هشام ١/ ٥٠٣ .

(٤) ابن هشام ١/ ٥٠٣ .

(٥) ابن هشام ١/ ٥٠٣ .

(٦) ابن هشام ١/ ٥٠٣ .

عن أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب - زعيم اليهود - أنها قالت :



بداية

## الحقد اليهودي

" كُنتُ أَحَبَّ وَلَدٍ إِلَيَّ وَإِلَى عَمِّي أَبِي يَاسِرٍ لَمْ أَلْقَهُمَا قَطَّ مَعَ وَلَدٍ لُهُمَا إِلَّا أَخَذَانِي دُونَهُ . فَلَمَّا قَدِمَ رَسِي وَلِ اللَّهِ - ﷺ - الْمَدِينَةَ ، وَنَزَلَ قُبَاءَ ، فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، غَدَا عَلَيْهِ أَبِي ، حِيَّيُّ بْنُ أَخْطَبَ ، وَعَمِّي أَبُو يَاسِرٍ بْنُ أَخْطَبَ ، مُغْلَسَيْنِ . فَلَمْ يَرْجِعَا حَتَّى كَانَا مَعَ غُرُوبِ الشَّمْسِ . فَأَتَيَْا كَالَيْنِ كَسَلَانَيْنِ سَاقِطَيْنِ يَمْشِيَانِ الْهُوَيْنَى . فَهَشِشْتُ إِلَيْهِمَا كَمَا كُنتُ أَصْنَعُ فَوَاللَّهِ مَا التَفْتُ إِلَيَّ وَاحِدٌ مِنْهُمَا ، مَعَ مَا بِهِمَا مِنَ الْغَمِّ . وَسَمِعْتُ عَمِّي أَبَا يَاسِرٍ وَهُوَ يَقُولُ لِأَبِي حِيَّيِّ بْنِ أَخْطَبَ :

-أَهُوَ هُوَ ؟

-قَالَ : نَعَمْ وَاللَّهِ !

- قَالَ : أَتَعْرِفُهُ وَتُثْبِتُهُ ؟

- قَالَ : نَعَمْ !

قَالَ : فَمَا فِي نَفْسِكَ مِنْهُ ؟

قَالَ : عَدَاوَتُهُ وَاللَّهِ مَا بَقِيْتُ ( !!! ) " (١) .

سر العداوة والحقد والحسد !

إنه حوار ترويه أم المؤمنين صفية - رضوان الله تعالى عليها - عن حال أبيها وعمها - زعيما يهود بني النضير - يوم دخل رسول الله - ﷺ - مهاجراً - وقد استقبله الأنصار استقبال الفاتحين - وإن كان هو سيد الفاتحين - صلوات الله وسلامه عليه - .

وكان اليهود يتادرسون صفة النبي - محمد - ﷺ - في كتبهم

ويستفتحون باسم خاتم الأنبياء على المشركين في الحروب والنزاعات قائلين :

" تقارب زمان نبي يُبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم " (٢) .

(١) ابن هشام ١/ ٥١٩ ، ٥٢٠ .

(٢) ابن هشام ١/ ٢١١ .



فكيف سيكون حال تلك النفوس الشريرة مع " محمد " - صلى الله عليه والسلام - ذلك النبي العربي الذي لا ينتسب إلى اليهود أو إلى " إسرائيل " ؟ !

لا شك أن الحق قد سيكون أغور، والعداء أشد، والحسد أكبر، على هذه النعمة العظيمة التي اختص بها رب العالمين العرب بأن جعل منهم خاتم الأنبياء، وقد كانت النبوة فيما مضى في بني إسرائيل ردحاً من الزمن حتى خانوا وبغوا :

﴿ مَا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾

[البقرة: ١٠٥]

﴿ بِسْمَا أَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءَ وَعَظَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ [البقرة: ٩٠]

وقد صدق فيهم قول رسول الله - ﷺ - :

" إن اليهود قوم حُسد " <sup>(١)</sup>.

ولقد بلغ من حسدهم أنهم يحسدون المسلمين على بعض الشعائر - كما قال المصطفى - ﷺ - :

" إن اليهود ليحسدونكم على السلام و التأمين " <sup>(٢)</sup>.

### يعرفون الحقيقة

وتتابع صفة - رضي الله عنها - الحوار، فتكشف النقاب عن تلك الحقيقة الكبيرة عند اليهود ..

الحقيقة هي .. أن اليهود يعرفون الحقيقة !

كالشمس في رابعة النهار، وأنهم يعرفون رسول الله - محمداً - كما يعرفون آبائهم :

يقول ياسر الحبيبي بن أخطب :

-أهو هو ؟

قال : نعم والله !

(١) أخرجه ابن خزيمة (١٥٨٥)، وهو في السلسلة الصحيحة، برقم ٦٩١ .

(٢) أخرجه الخطيب (٤٣ / ١١)، وهو في السلسلة الصحيحة، برقم ٦٩٢ .



قَالَ : نَعَمْ !

إنهم يعرفونه، ويثبتونه، في الوقت الذي يبذل فيه الجاهل الجهد المضني لتأكيد له نبوة محمد، بمعجزة أو آية بينة محسوسة .  
 إنهم يعرفونه، والعالم لا زال يبحث في شأنه ما بين متشكك ومكذب، وقليلًا ما يؤمنون..

إنهم، الذين قال الله فيهم : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]  
 وقال عنهم:

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾  
 [الأنعام: ٢٠]

إنهم ﴿يَحْجِدُونَ، مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] .  
 وقد وقف رسول الله - ﷺ - فيهم خطيبًا، فقال :  
 "يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ ! وَيْلَكُمْ اتَّقُوا اللَّهَ ! فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، وَأَنِّي جِئْتُكُمْ بِحَقٍّ، فَأَسْلِمُوا" (١) .  
 وقد صدق فيهم قول الخبر العلامة عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - وقد كان أحد علماء اليهود فأسلم - :

" يا رسول الله ! إن اليهود قوم بهت" (٢) .  
 " عَدَاوَتُهُ وَاللَّهِ مَا بَقِيَتْ " ... عداوة حتى النخاع ؛  
 قَالَ ياسر بن أخطب لأخيه : فَمَا فِي نَفْسِكَ مِنْهُ ؟  
 قَالَ : عَدَاوَتُهُ وَاللَّهِ مَا بَقِيَتْ ( !!! )

في يوم واحد بلغ حقه على محمد - ﷺ - حتى النخاع، وأشرب كره محمد - ﷺ - حتى الثمالة، وقد أوشك الفاجر أن يسقط على الأرض من شدة الإعياء النفسي والغم والهم لمجرد أن رأى رسول الله - ﷺ - وقد أكرمه الله بالأنصار وأكرم الأنصار به .

(١) أخرجه البخاري (٣٦٢١) .

(٢) أخرجه البخاري (٤١٢٠) .

فلن يتوقف العداء ما دام حييُّ باق وفيه عين تطرف وقلب يخفق، إن كل شهقة من شهقات صدره تدخل بكره محمد ﷺ - ، وإن كل زفرة من زفرات نفسه تخرج بكره محمد ﷺ - ، وبين الشهقات والزفرات قلب، مُرَبِد ، مَظْلَم ، ينبض بكره محمد ﷺ - .

﴿ عَدَاوَتُهُ وَاللَّهُ مَا بَقِيَتْ ﴾ .. لن يرضوا أبداً .

فلن يرضى عن محمد أبداً ..

ولن ترضى اليهود عن المسلمين ما بلَّ بحرٌ صوفهً، وسرى نجمٌ وهبت ريح، وخالفت جرّة درّة .

﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ وَلَئِنْ آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]

﴿ قال الإمام الطبري :

"ولست اليهود ، يا محمد ، ولا النصارى براضية عنك أبداً ، فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم ، وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق، فإن الذي تدعوهم إليه من ذلك هو السبيل إلى الاجتماع فيه معك على الألفة والدين القيم. ولا سبيل لك إلى إرضائهم باتباع ملتهم، لأن اليهودية ضد النصرانية ، والنصرانية ضد اليهودية ، ولا تجتمع النصرانية واليهودية" (١) .

"عَدَاوَتُهُ وَاللَّهُ مَا بَقِيَتْ" .. أشد الناس عداوة

﴿ قال الله تعالى :

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢]

فهم أشد الناس عداوة للإنسانية، ذلك بأنهم يعتبرون ما سواهم من البشر كلاباً أو "جويم" .

فإذا كانت هذه عداوتهم لبني الإنسان جميعاً؛ فكيف حال عدائهم للمسلمين

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

[آل عمران: ٧٥] .



﴿ فقال الله عنهم :

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقَقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٤].

﴿ وقال أيضاً :

﴿ فِيمَا نَقُصُّهُمْ مِّثْقَلَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ [المائدة: ١٣]

ومع هذه القسوة الشديدة تراهم أشد الناس جبناً، وهلعاً، وفرعاً، وهرباً، عند اللقاء ، ومن ثم ابتكروا " القرى المحصنة " وهي المستوطنات، وابتكروا "الجدر" وهي مثل الجدار العازل حالياً :

﴿ لَا يُقَنِّلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحشر: ١٤]

﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٩٧].

ومن ثم كان موقفهم الجبان مع موسى - عليه الصلاة والسلام - لما أمرهم بالجهاد :

﴿ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هَاهُنَا

فَاعْتَدُونَ ﴾ [المائدة: ٢٤] .

أضف إلى ذلك شدة بغضهم لبعضهم البعض ، وتفرق قلوبهم ، وإن توحدت أجسامهم :

﴿ وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴾ [المائدة: ٦٤].

﴿ عَدَاوَتُهُ وَاللَّهُ مَا بَقِيَتْ .. الحرب على الأخلاق .

فهم أعداء مكارم الأخلاق، صناع الدعارة في القديم والحديث، ورواد بيوت الأزياء ، ومواقع العري ومسابقات النهود والأفخاذ والأرادف والمؤخرات، وسلاطين هوليوود، وصناع الأفلام الإباحية والمواقع الجنسية، وهم مُنظِّروا جماعات الانحلال الأخلاقي والشذوذ الجنسي وفلسفة الجنس السادي، تخرج فيهم أعتى رموز الفكر الهدام أمثال دارون ودور كايم وكارل ماركس وفرويد :

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [المائدة: ٧٨، ٨٠].

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتْفِسِدُنَا فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلُنَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾

[الإسراء: ٤]

### ﴿عَدَاوَتُهُ وَاللَّهُ مَا بَقِيَتْ .. الفتن والأراجيف

فأخذوا في نشر الفتن والأراجيف بين صفوف المسلمين، ومحاولة إشعال الحرب بين الأوس والخزرج .

فقد مرَّ شَاسُ بْنُ قَيْسٍ الْيَهُودِي - وكان شيخاً من شيوخ اليهود وكبرائهم، عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين، شديد الحسد لهم - على نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - مِنْ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ . فِي مَجْلِسٍ قَدْ جَمَعَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ فِيهِ، فَغَاطَهُ مَا رَأَى مِنْ أَلْفَتِهِمْ وَجَمَاعَتِهِمْ وَصَلَحَ ذَاتَ بَيْنِهِمْ عَلَى الْإِسْلَامِ بَعْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ . فَقَالَ : " قَدْ اجْتَمَعَ مَلَأُ بَنِي قَيْلَةَ هَذِهِ الْبِلَادِ ! لَا وَاللَّهِ مَا لَنَا مَعَهُمْ إِذَا اجْتَمَعَ مَلَوْهُمْ بِهَا مِنْ قَرَارٍ ! " . فَأَمَرَ فَتَى شَابًا مِنْ يَهُودٍ كَانَ مَعَهُمْ فَقَالَ : " اْعْمِدْ إِلَيْهِمْ فَاجْلِسْ مَعَهُمْ، ثُمَّ اذْكُرْ يَوْمَ بُعَاثَ وَمَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنْشِدْهُمْ بَعْضَ مَا كَانُوا تَقَاوَلُوا فِيهِ مِنَ الْأَشْعَارِ " . ففعل . فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا وتنابدوا، حَتَّى تَوَاتَبَ رَجُلَانِ مِنَ الْحَيَّيْنِ عَلَى الرُّكْبِ : أَوْسُ بْنُ قَيْطِيٍّ أَحَدُ بَنِي حَارِثَةَ بْنِ الْحَارِثِ مِنَ الْأَوْسِ ، وَجَبَّارُ بْنُ صَخْرٍ، أَحَدُ بَنِي سَلَمَةَ مِنَ الْخَزْرَجِ ، فَتَقَاوَلَا ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : إِنْ شِئْتُمْ رَدَدْنَاهَا الْآنَ جَذَعَةً ! فغضب الفريقان جميعاً ، وَقَالُوا : قَدْ فَعَلْنَا ! وتواعدوا على أن يلتقوا في يومهم ذاك بموضع (الحرّة) واندفعوا في دروب المدينة

يتداعون إلى الحرب وهم يتصاحون: السلاح السلاح.

وجمت دأر الهجرة وهي تسمع صيحة الحرب.

وكادت أن تقوم الحرب الأهلية .

(١) يعني إن شئتم رددناها هذه الحرب من جديد .



وحاولوا اغتيال رسول الله ﷺ - أكثر من مرة، منها مرة كان رسول الله ﷺ - عندهم ضيفاً في ديار بني النضير..

وكانوا هم أصحاب فكرة جيش الأحزاب، فتحرك قادة اليهود وداروا في الجزيرة العربية، لتهييج العرب الوثنيين على المسلمين، فاستجابت قريش وغطفان، وبنو فزارة وبنو مرة، وأشجع واتجهت جيوش الأحزاب نحو المدينة وكانت عدتهم عشرة آلاف، وعدة المسلمين ثلاثة آلاف، وكان حُيي بن أخطب أحد اليهود الذين هيجوا قريشًا والأحزاب ضد المسلمين، وقد ذهب إلى كعب بن أسد سيد بني قريظة يطلب إليه نقض العهد مع المسلمين ففعلت بنو قريظة الخيانة، وتحولت هذه القبيلة عن بكرة أبيها إلى طابور خامس تمد الوثنيين بالمعلومات والأخبار عن المسلمين إضافة إلى ما لذ وطاب من طعام وشراب بيد أن رسول الله - حليفهم - يربط على بطنه الشريفة حجرين من شدة الجوع، يحفر الخندق، يزود عن حياض المدينة التي يسكنها بنو قريظة ..

ولو تأملت واقعنا المعاصر لتبين لك أن اليهود كانوا وراء كل حصار ضرب على المسلمين، فهم وراء حصار أفغانستان ، وهم وراء حصار العراق، واحتلال الأراضي الإسلامية، ونهب ثروات المسلمين، ناهيك عن حصار غزة، وتجويع الشعب الفلسطيني المسلم .. غير ما فعله اليهود في فلسطين المسلمة عبر عقود طويلة من تقتيل لأطفال المسلمين، وذبح شيوخهم، واغتيال علمائهم، وسجن رجالهم، وهتك أعراضهم، وتدمير بيوتهم، وتحريق زروعهم ... وهدم المساجد، وتدمير البيوت، وتحريق الزروع، وإهانة المصاحف، وتخريب المتاجر، وضرب المصانع، وقطع المياه، وفصل الكهرباء، ونشر المخدرات، ونفث الموبقات، وتسريح المومسات .. لقد فعل اليهود كل فعل محرم في الشعب الفلسطيني، وارتكبوا في حقهم شتى الجرائم، حتى أنهم يمارسون على الأسرى الفلسطينيين التجارب الطبية ، فجعلوا منهم حقل تجارب، يجربون فيهم الأدوية المستحدثة، والعقاقير المستغربة، فإن أراد اليهود دمًا أخذوا من دماء المساجين المسلمين، وإن أراد اليهود كلى، سرقوها من أجساد المؤمنين، وليس عليهم في الأميين سبيل بزعمهم!

فمن لهذا الشعب المسلم ؟ ومن لإطفال يُتَمَّت ؟ وأمّهات تُكَلَّت ؟ وحرّمات انتهكت، ومقدسات دُنست ؟

﴿ عَدَاوَتُهُ وَاللَّهُ مَا بَقِيَتْ .. الْحَرْبُ عَلَى اللَّهِ !! ﴾  
لقد امتدت إسمائهم حتى إلى ذات الله - تبارك وتعالى -  
فاتهموا الله بالبخل - تعالى الله عما يصفون - :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَعْضَاءُ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ كَمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾

[المائدة: ٦٤]

﴿ واتهموا الله بالفقر - سبحانه هو الغني - :  
﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [آل عمران: ١٨١] ...

﴿ وادّعوا الولد لله تبارك وتعالى :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٠]

وزعموا أن الله يحنث في يمينه - سبحانه هو الكريم - :

﴿ فقال التلمود :

" إن الله إذا حلف يميناً غير قانونية احتاج إلى من يحله من يمينه، وقد سمع أحد الإسرائيليين الله تعالى يقول: من يحلني من اليمين التي أقسم بها؟ ولما علم باقي الحاخامات أنه لم يحله منها اعتبره حماراً (أي الإسرائيلي) لأنه لم يحل الله من اليمين، ولذلك نصبوا ملكاً بين السماء والأرض اسمه (مى)، لتحل الله من أيّانه ونذوره عند اللزوم".

﴿ وزعموا أن الله يلعب مع الحوت - سبحانه بل له ما في السماوات وما في الأرض كل له قانتون - :

﴿ قال التلمود :

"إن النهار اثنتا عشرة ساعة.. في الثلاث الأولى يجلس الله ويطالع الشريعة ، وفي الثلاث الثانية يحكم ، وفي الثلاث الثالثة يطعم العالم، وفي الثلاث الأخيرة يجلس ويلعب مع الحوت ملك الأسماك".



﴿ وزعموا أن الله يستشير الحاخامات في المسائل العويصة - سبحانه الله ! ما قدروا الله حق قدره - :

﴿ قال التلمود :

"إن الله يستشير الحاخامات على الأرض عندما توجد مسألة عويصة لا يمكن حلها في الساء" .

﴿ وزعموا أن الله يندم ويلطم ويبكى - سبحانه هو أضحك وأبكى - :

﴿ قال التلمود :

"يتندم الله على تركه اليهود في حالة التعاسة حتى أنه يلطم ويبكى كل يوم ، فتسقط من عينيه دمعان في البحر ، فيسمع دويهما من بدء العالم إلى أقصاه ، وتضرب المياه وترتجف الأرض في أغلب الأحيان ، فتحصل الزلازل" .

﴿ وزعموا أن الله أخطأ - سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير - :

﴿ قال التلمود :

"وقد اعترف الله بخطئه في تصريحه بتخريب الهيكل فصار يبكى ويمضي ثلاثة أجزاء الليل يزأر كالأسد قائلاً : تبا لي لإني صرحت بخراب بيتي وإحراق الهيكل ونهب أولادي" .

﴿ وزعموا أن الله لا يمكن له أن ينقض تعاليم الحاخامات - سبحانه لا

يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ - :

﴿ قال التلمود :

"إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها حتى بأمر الله" .

﴿ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ؟

فمن كان هذا قولهم في الله رب العالمين فما هو اعتقادهم في غير الله !

ومن كان هذا هو فعلهم مع خير البرية وخاتم الأنبياء من إيذاء وقتال وغدر، فما

هو فعلهم مع غير الأنبياء !

من أجل ذلك ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة

﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ

بَيَّانَاتٍ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ٦١]

وكتب الله عليهم - جزاء بغيهم وحقدهم - أن يرسل عليهم من القادة والزعماء على اختلاف الملل والنحل من يسوموهم سوء العذاب :

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْيَقِينَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ

لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٧]

فأرسل الله عليهم فرعون يسوموهم سوء العذاب فلما نجاهم منه إذا هم يعبدون العجل.

وأرسل الله عليهم نبوخذ نصر (أو بتخنصر) فأباد خضرائهم لما ظلموا ..

وأرسل عليهم محمد بن عبد الله - ﷺ - فردع مكرهم وحجّم بغيهم ..

وأرسل عليهم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فظهر الجزيرة العربية من

رجسهم ..

﴿وَأَنفِذْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - :

" لَئِنْ عِشْتُ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ لَا أُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ " (١) ،

" أخرجوا يهود أهل الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب ، واعلموا أن شرار

الناس الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " (٢) .

وأرسل عليهم هتلر فحرقهم تحريقاً لما خانوا .

وأرسل عليهم عز الدين القسام ومحمد فرغلي وأحمد ياسين وشباب المسلمين في

فلسطين، فلم يهدء لهم جفن في فلسطين من أول يوم اغتصبت فيه .

وتستمر سلسلة القادة والزعماء، يجود الزمان بهم " إلى يوم القيامة " - كما أخبر الله

تعالى - وهكذا كان المكتوب، وذلك لعلم الله بحالهم، فلو علم الله فيهم خيراً

لأسمعهم.

ولكن علم الله شرهم، وفجرهم، وبغيهم - ما بقوا - وأن حالهم كما قال سيدهم

" حيي " " عداوته والله ما بقيت " - فكان لسان حالهم : عداوة الإسلام والمسلمين ما

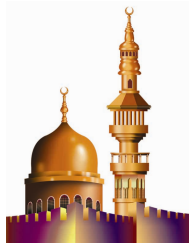
بقينا .

(١) أخرجه الترمذي (١٥٣١)، وهو في السلسلة الصحيحة، برقم ١١٣٤ .

(٢) أخرجه أحمد (١٦٩١)، وهو في السلسلة الصحيحة ١١٣٢ .



"لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ! هَذَا يَهُودِيٌّ، خَلْفِي، فَتَعَالَ، فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ"<sup>(١)</sup>.



(١) أخرجه مسلم (٥٢٠٣).


# الفَسْهُ الثَّامِنُ

الْجِهَادُ





📌 أول سرية وأول لواء أو قائد عسكري :  
كانت هذه السرية هي أول سرية في الإسلام،  
وكان لون اللواء أبيض، وعقده رسول الله لعمه -  
أسد الله - حمزة بن عبد المطلب.

  
**سرية حمزة بن  
عبد المطلب إلى  
سيف البحر  
رمضان اهـ .  
مارس ٦٢٣**

بعثه النبي ﷺ - في ثلاثين جندياً من المهاجرين خاصة<sup>(١)</sup>،  
منهم أبو عبيدة بن الجراح ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ،  
وسالم مولى أبي حذيفة ، وعامر بن ربيعة وزيد بن حارثة) ..  
📌 المهمة :

وكانت مهمة حمزة أن يعترض قافلة تجارية لقريش جاءت من الشام، وفيها أبو  
جهل بن هشام في ثلاثمائة رجل .  
📌 مجدي بن عمرو :

فبلغ المسلمون ساحل البحر الأحمر عند أرض جهينة .. فالتقوا واصطفوا للقتال،  
فمشى مجدي بن عمرو الجهني - وكان حليفاً للفرقيين جميعاً - بين هؤلاء وهؤلاء، فلم  
يزل يمشي إلى هؤلاء وإلى هؤلاء، حتى حجز بينهم، ومنع القتال، انصرف القوم، ولم  
يقتلوا<sup>(٢)</sup>.

📌 رجوع السرية :  
فلما رجع حمزة إلى النبي ﷺ - أخبره بما حجز بينهم مجدي ، وأثم رأوا منه نصفة  
ههم، فاستحسن النبي ﷺ - صنيع حمزة وصنيع مجدي ..  
ولما قدمت جماعة لمجدي من جهينة على النبي ﷺ - أكرمهم وكساهم وصنع  
إليهم خيراً ، وذكر مجدي بن عمرو بخير وأثنى عليه، قائلاً : " إنه ميمون النقيبة،  
مبارك الأمر " أو قال : " رشيد الأمر " <sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) غير أن الواقدي (١ / ٩) قال: بعثه في ثلاثين راكبا شطرين: خمسة عشر من المهاجرين وخمسة عشر من الأنصار .

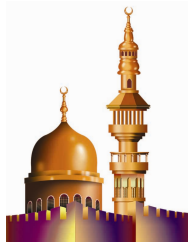
(٢) ابن القيم: زاد المعاد / ٥٩٥، الصالحى ٦ / ١١، الواقدي ٩ / ١ .

(٣) الواقدي ٩ / ١، الصالحى ٦ / ١١ .

### دروس :

- إن قائد الدعوة - ﷺ - أول ما قدم للجهاد قدم أهل بيته.
- ثناء النبي - ﷺ - على مجدي بن عمرو الجهنّي؛ لسؤدده، ومجده، ونشاطه في الإصلاح، وسعيه السلمي بين المسلمين وقريش ..
- احترام الوسطاء الذين تحشموا المتاعب من أجل الإصلاح.
- تحالف مجدي بن عمرو الجهنّي مع المشركين لم يكن يشينه ما دام التزم بموقف الحياد الأخلاقي على الأقل .
- أهمية كسب الدول والجهات المحايدة إلى صف المسلمين.
- أريحية حمزة، إذ لم يتحجر !
- " في الوقت متسع " قد يكون مثلاً صالحاً في حربنا مع العدو، فليس من الضروري تصفيات جميع الحسابات في جولة واحدة أو في غزوة واحدة أو في سرية واحدة، " والأيام بيننا "، غير أن القضية لن تموت .

حامل لواء هذه السرية هو أبو مرثد كنان بن حصين..  
 صحابي جليل، وابنه " أبو مرثد " صحابي جليل، وكلاهما لهما  
 شأنٌ في الإسلام عظيم؛ هل تستطيع أن تكتب عنهما مقالة؟





الدروس .



## بن جحئل

## ✍ درس في احترام المواعيد والتكاليف

"وَأَفِ مَعَ الصَّبْحِ ، مَعَكَ سِلَاحُكَ ، أَبْعَثْكَ وَجْهًا .."

- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بالنَّاسِ الصَّبْحَ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَيَجِدُنِي قَدْ سَبَقْتَهُ... " (١) .

"واف الصبح..."

فالتزم التلميذ واحترم التكليف، فكان بين المصلين في صلاة الصبح كما حدد النبي

— ﷺ —

~~قال عبد الله :~~

"فَيَجِدُنِي قَدْ سَبَقْتَهُ" .. توكيداً على الالتزام.

وَجْهًا" ..

وأين ستبعثنى .. لا بد أن أعرف أولاً !

ولم يتكلم مجادلاً بكلام مؤذ، كالريح التي تسفي التراب .

رد فعله کہا قال :

"فَوَافَيْتِ الصَّبْحَ وَعَلَى سَيْفِي، وَقَوْسِي، وَجَعْبَتِي، وَمَعِي دَرَقَتِي" .. لقد حضر في الموعد، وصلى مرتدياً لباسه العسكري كما طلب منه القائد، ولم ينس أمتعته اللازمة لتنفيذ التكليف، فأحضر السيف والقوس وجعبة السهام ودرقة الماء (الزمزية) .. ولم يفعل فعل الزفانين والراقصين، فلم ينم عن الموعد أو أضاع صلاة الفجر، ولم يتأخر عن الموعد، أو جاء في الموعد ولم يتجهز، أو جاء وتجهز ونسي شيئاً.

#### ✍ درس في الحس الأمني

#### ✍ قال عبد الله بن جحش :

فَصَلَّى النَّبِيُّ - ﷺ - بِالنَّاسِ الصَّبْحَ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَيَجِدُنِي قَدْ سَبَقْتَهُ، وَاقِفًا عِنْدَ بَابِهِ، وَأَجِدُ نَفْرًا مَعِي مِنْ قُرَيْشٍ . فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَكَتَبَ كِتَابًا . ثُمَّ دَعَانِي فَأَعْطَانِي صَحِيفَةً مِنْ أَدِيمِ خَوْلَانِي، فَقَالَ : "قَدْ اسْتَعْمَلْتُكَ عَلَى هَؤُلَاءِ النَّفَرِ، فَأَمْضِ حَتَّى إِذَا سِرْتَ لَيْلَتَيْنِ فَأَنْشُرْ كِتَابِي، ثُمَّ أَمْضِ لِمَا فِيهِ" (١).

فلم يكن التكليف تكليفاً شفهياً، ولم كن التكليف تكليفاً علنياً، بل دخل القائد حجرته، واختلى بكاتبه، وتم كتابة الرسالة الحربية في سرية تامة، وتم إغلاق الكتاب، ونبه القائد على الجندي ألا يفتح الرسالة إلا إذا سار ليلتين ...

#### ✍ ولماذا كل هذا ؟

- ١ - لتربية الجند على الحذر التنظيمي .. "وخذوا حذركم"
- ٢ - ولخشية إفساد العمل بثغرة أمنية، لكثرة الجواسيس والمخبرين التابعين لقريش.
- ٣ - ولحرص القائد على سلامة جنوده، فلا يطلق التكاليف كطلقات المدفع دون حيلة، فأشقى الناس من شقت به رعيته ! وأرذل الأمراء من فشلت به جماعته !

فالحذر، الحذر، وإن نام الليث أو ضحك !

#### ✍ قال أبو الطيب المتنبي :

إِذَا رَأَيْتَ نُيُوبَ اللَّيْثِ بَارِزَ      فَلَا تَظُنَّنَّ أَنَّ اللَّيْثَ يَتَسِمُ

#### ✍ درس في السمع والطاعة

بعدما سار عبدُ الله بنُ جحشٍ يَوْمَيْنِ فَتَحَ الْكِتَابَ فَنَظَرَ فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ :



وانظر إلى حكمة القائد؛ أراد أن يعلمهم الشورى في مكان بعيد، مع هذا القائد المشيخ، وخدمهم، في أرض فلاة، ليعيشوا التجربة، فتأثر فيهم الدربة.

#### درس في الشجاعة :

لقد أجمعوا أمرهم، ولم يتخلف منهم رجل واحد، ولم لا، وقد تخرجوا في مدرسة محمد - ﷺ -، ولم يجبنوا، لسان حالهم كما قال أبو الطيب :

الْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبِدَاءُ تَعْرِفُنِي      وَالسَّيْفُ وَالرَّمْحُ وَالْقُرْطَاسُ وَالْقَلَمُ  
صَحِبْتُ فِي الْفُلُوتِ الْوَحْشَ مَنْفَرِدًا      حَتَّى تَعَجَّبَ مِنِّي الْقَوْرُ وَالْأَكَمُ

#### درس في خطر الانحراف عن الغاية :

أو قل : درس في خطور التحول عن الهدف الإجرائي دون إذن من القائد الأعلى. أو درس في أزمة ( العمل الدعوي الجماعي المعاصر ) حيث العقل الخفيف الذي لا يرسخ عند المدلهمات، والقلب الضعيف الذي ينساق عند الشبهات ..

#### أو قل : درس في خطر عدول المجموعة الفرعية عن الجماعة الأصلية.

فلما سلكت السرية حتى إذا كانت في بُحْرَانُ نَاحِيَةِ مَعْدِنِ بَنِي سُلَيْمٍ أَصْلَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ بَعِيرًا لَهُمَا، كَانَا يَنْتَقِبَانِهِ . فَتَخَلَّفَا عَلَيْهِ فِي طَلَبِهِ . وَمَضَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ وَبَقِيَّةُ أَصْحَابِهِ حَتَّى نَزَلَ بِنَخْلَةٍ، فَمَرَّتْ بِهِ عَيْرٌ لِقُرَيْشٍ تَحْمِلُ زَبِيئًا وَأَدَمًا، وَتِجَارَةً مِنْ تِجَارَةِ قُرَيْشٍ، فِيهَا عَمْرُو بْنُ الْحَضَرَمِيِّ . وَفِيهَا خَمْرٌ وَأَدَمٌ وَزَبِيْبٌ جَاءُوا بِهِ مِنَ الطَّائِفِ، فَلَمَّا رَأَوْهُمُ الْقَوْمُ هَابُوهُمْ، وَقَدْ نَزَلُوا قَرِيبًا مِنْهُمْ فَأَشْرَفَ لَهُمْ عَكَاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ، وَكَانَ قَدْ حَلَقَ رَأْسَهُ، فَلَمَّا رَأَوْهُ أَمِنُوا، وَقَالُوا: عُمَارٌ لَا بَأْسَ عَلَيْكُمْ مِنْهُمْ ..

فأمنوا وقيدوا ركا بهم وسرحوها وصنعوا طعاماً .

فتشاور المسلمون وقالوا: نحن في آخر يوم من رجب الشهر الحرام، فإن قاتلناهم انتهكنا الشهر الحرام، وإن تركناهم الليلة دخلوا الحرم. ثم اتفقوا على ملاقاتهم - وقد دخلت الأشهر الحرم - التي تعظمها العرب . وقد عظمها الإسلام وأقر حرمتها. فَرَمَى وَقْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيَّ عَمْرُو بْنُ الْحَضَرَمِيِّ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ، وَشَدَّ الْمُسْلِمُونَ

(١) ابن حزم : جوامع السيرة ١ / ١٠٥

(٢) الصالحى ١٧ / ٦







فقد سعد وعتبة، فأفداهما رسول الله - ﷺ - <sup>(١)</sup>.

فأما الحكم بن كيسان فأسلم فحسن إسلامه، وأقام عند رسول الله - ﷺ - حتى قتل يوم بئر معونة شهيدا، وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة فمات بها كافرا <sup>٢</sup>.  
إن حرص القائد على سلامة جنوده ضرورة من الضرورات، وسمة أساسية من سمات القائد المستحق للإمارة القادر على القيادة.

ثم إن حرص القائد على سلامه جنوده عامل مهم في تقوية الحب والأخوة بين القائد وجنوده، الأمر الذي يدفع الجندي إلى أن يبذل الغالي والنفيس من أجل تنفيذ تعليمات قائده .

#### درس في الاعتراف بالخطأ والعمل على إصلاحه :

فقد رأينا في هذه السرية كيف أن رسول الله - ﷺ - استنكر صنيع أصحاب السرية، وأقر أصحابها بخطئهم، واعترفوا بذنبهم .. وعمل المسلمون على إصلاح الخطأ، لتشهد الجزيرة العربية مكارم أخلاقهم، فقد أطلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صراح الأسيرين وأدى دية المقتول إلى أوليائه ..

١- أن تحترم المواعيد، واحذر : " إذا وعد أخلف " ،  
وامض لأمر الله ولو كنت بين السماطين . واحذر نومة العجز، وإلف المزح، وقلة الإكتراث للخطيئة.

٢- أن تمتثل لأمر رسول الله - ﷺ - وإنفاذه سراعاً في العسر واليسر، وأن تسمع وتطيع لإخوانك في الله، لأمر الله، على طاعة الله، في المنشط والمكره . [ ونصح بدراسة قصة طالوت ، وموقف خالد بن الوليد حين عزله أمير المؤمنين



عمر ] .

٣- اعترف بخطئك، فالاعتراف به فضيلة، وأحرى أن يقبل الله توبة المعترف المقر بذنبه، وأحرى بالعنود أن يُرد . وقد قال رسول الله - ﷺ - لعائشة - في ثانيا قصة الإفك - :

(١) ابن كثير: السيرة النبوية ٢ / ٣٦٩ .

(٢) ابن كثير: السيرة النبوية ٢ / ٣٦٩ .





وفي ثنایا الضجة الإعلامية التي خلفتها سرية  
عبد الله بن جحش؛ نزل الأمر من الله تعالى في

شعبان سنة ٢ هـ / فبراير ٦٢٤ م - بتحويل قبة المسلمين من  
بيت المقدس إلى المسجد الحرام.

ونزلت الآيات :

## تحويل القبة

﴿ قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ  
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ  
الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٤]

وكانت لنا هذه الوقفات :

الدرس الأول : في التبرص اليهودي بالإسلام :

لقد استغل اليهود هذا الحدث للتشكيك في الإسلام، والسخرية من النبي ﷺ -  
وإشاعة القلاقل والبلابل في أرجاء الوطن الجديد، وقالوا: " .. ﴿ مَا وَلَّهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ آلَتِي  
كَأَوُاعِلَٰهَا ﴾ [البقرة: ١٤٢] ، لقد اشتاق الرجل إلى مولده ! ما هؤلاء تارة يستقبلون كذا  
وتارة يستقبلون كذا ، ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها .. إن كانت القبة الأولى  
حقا فقد تركها، وإن كانت الثانية هي الحق فقد كان على باطل .. "

ويا عجباً لهؤلاء اليهود؛ لا ينعم لهم جازراً أبداً؛ إن تبعهم النبي ﷺ - في قبلته؛ قالوا :  
مُقلد تابع، وإن خالفهم في قبلتهم، قالوا : كاذب.

وهنا نفهم صفة من صفات اليهود، وحقدهم الذي ظهر جلياً في هذه الحادثة.  
ولقد شنوا حرباً إعلامية ضارية في أعقاب هذه الحدث . ولقد فُتن ضعاف الإيمان كما  
فُتن إخوانهم في حادث الإسراء والمعراج .. وإن المتأمل لآيات تحويل القبة؛ وهي ترد  
شبهات اليهود؛ يتبين له مدى ضراوة الحرب الإعلامية والفكرية التي شنها اليهود ..  
قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ آلَتِي كَأَوُاعِلَٰهَا قُلْ لِلَّهِ  
الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ١٤٢] .. حتى إنهم شككوا



#### الدرس الرابع : في حتمية الابتلاء :

﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٣] . إذ المؤمن - وهو يمارس وظيفته في الدعوة إلى الله - لابد أن يبتلى ، ولابد أن يُمتحن ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢] .. ولقد ابتلي المسلمون الأوائل بهذا الحدث أيما ابتلاء . فثبتوا - رضي الله عنهم - ما ضرهم حرب اليهود الإعلامية .. ليضرب الصحابة - رضوان الله عليهم - القدوة والأسوة في مواجهة الابتلاء الإعلامي ، ولقد علمونا - رضي الله عنهم - الصبر على ألوان الابتلاء ، بديّة بابتلاء السجن والحصار والتعذيب في رمضاء مكة ، وحتى الصبر على الترسانة الإعلامية اليهودية .. ولعل دعاة اليوم أن يتأملوا بعين طالب العلم إلى تراث الصحابة ، ولنستلهم من صبر الصحابة الزاد على طريق الدعوة إلى الله ؛ خاصة في ظل نار حكام الجور وجحيم أعداء الإسلام .

#### الدرس الخامس : في سرعة الاستجابة :

كم كان هؤلاء الصحابة - رضي الله عنه - في قمة الاستجابة لهذه الدعوة ؛ عندما جاءهم خبر تحويل القبلة .. انظر في صحيح البخاري عن البراء : أن النبي - ﷺ - صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا - أو سبعة عشر شهرا - ، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت ، وإنه صلى أول صلاة صلاها العصر ، وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى مع النبي - ﷺ - فمر على أهل المسجد وهم راکعون ، فقال أشهد بالله ، لقد صليت مع النبي - ﷺ - قبل مكة ، فداروا كما هم قبل البيت " لقد تحولوا وهم في هيئة الركوع من قبله بيت المقدس إلى اتجاه البيت الحرام .. لقد علمونا - رضي الله عنهم - كيف نستقبل تعاليم الإسلام .

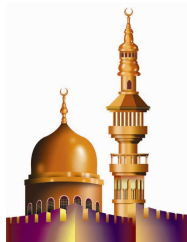
بهذه الثقة في النهج وبهذه الثقة في القائد قادوا وسادوا وساسوا ..

... إلى متى هذه الجفوة والفجوة بين المسلمين ومنهجهم ؟ وإلى متى نستجيب إلى كل أشباه الحلول ، ونرفض الحل الإسلامي ؟ وإلى متى نستجيب إلى كل فكر إلا الفكر الإسلامي ؟

فالتحول كما تحول الصحابة في حادث تحويل القبلة !  
نتحول بكل قوة وثقة إلى منهج الإسلام بكلياته وجزئياته ، كما تحول الغر الميامين  
وهم ركوع ..

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ  
يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٤]

- ١- مدارس آيات تحويل القبلة في سورة البقرة .
- ٢- أن تذكر أخا من إخوانك بهذه الدروس الخمسة من  
حادث تحويل القبلة .



ستظل معركة بدر الكبرى معلماً عريقاً، ودستوراً

منيراً للدعاة والمصلحين والمجاهدين في معاركهم

مع الباطل، ستظل الدرس الأكبر في انتصار الفئة القليلة

على الفئة الكثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ..

كما ستبقى مرجعاً مهماً لتجلية العلاقة بين القائد وجنده،

والأمير وجيشه، دروساً في الجندية والطاعة، والوحدة

معركة بدر الكبرى

الجمعة ١٧

رمضان ١٣/هـ

مارس ٢٠٢٤م

والتنظيم والجماعة ..

والحق أن مسألة " العلاقة بين القائد وجنده " .. تحتاج دوماً للتأصيل والتوضيح،

والتبيين والتمثيل، فهل يتبسط القائد مع جنده إلى حد المجون ؟ وهل يتشدد القائد مع

جنده إلى حد الغرور ؟ ما هي يا ترى طبيعة العلاقة بين القائد وجنده من الناحية

الإنسانية ومن الناحية العسكرية ومن الناحية السياسية ؟ ..

إن إجابة هذا السؤال، في مدارس هذه الغزوة الفضيلة .. والوقوف على مواقفها

الحكيمة، وقبل الإجابة؛ علينا أن نعرض لموجزها، قبل الولوج في مواقفها .

سبب هذه الغزوة أن النبي - ﷺ - سمع بقافلة تجارية لقريش قادمة من الشام

بإشراف أبي سفيان بن حرب، وتتكون من ألف بغير محملة بالبضائع، يحرسها أربعون

رجلاً فقط، فندب المسلمين إليها، ليأخذوها لقاء ما صادر المشركون من أموال

وعقارات المسلمين في مكة. فخف بعضهم لذلك وثناقل آخرون، إذ لم يكونوا

يتصورون قتالاً في ذلك.

وتحسس أبو سفيان الأمر وهو في طريقه الى مكة، فبلغه عزم المسلمين على

خروجهم لأخذ القافلة، فأرسل الى مكة من يخبر قريشاً بالخبر ويستفزهم للخروج

لإنقاذ أموالهم .

فبلغ الخبر قريشاً فتجهزوا سراعاً وخرج كل منهم قاصدين القتال ولم يتخلف من

أشراف قريش أحد وكانو قريباً من ألف مقاتل .



وافتدى المشركون أسراهم بالمال ونحوه. وأصدر النبي - ﷺ - عفواً عن بعض الأسرى دون أن يأخذ منهم الفداء ، نظراً لفقرهم، وكلف المتعلمين منهم بتعليم أطفال المسلمين القراءة والكتابة.

ونزلت سورة الأنفال تعقب على هذه الغزوة وتستنكر على الصحابة اختلافهم على الأنفال . وتركز على سلبات المعركة لمحاولة تلافيها في المعارك القادمة .

\*\*\*

وبعد هذا الموجز، نقف فيما يلي على بعض مشاهد العلاقة بين القائد وجنده، لنرى موضع القائد من جنده وموضع الجند من قائدهم.

#### ✍ مشاركة القائد جنوده في الصعاب:

عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : كنا يوم بدر، كل ثلاثة على بعير، فكان أبو لبابة وعلي بن أبي طالب زميلي رسول الله - ﷺ - قال : فكانت إذا جاءت عقبة رسول الله - ﷺ - قالوا : نحن نمشي عنك قال : " ما أنتم بأقوى مني وما أنا بأغنى عن الأجر منكما " (١).

فالقائد الصالح هو من يشارك جنوده الصعاب، ويكابد معهم الآكام والشعاب، ويحفزهم على القليل والكثير من الصالحات، ليكون قدوة طيبة أخلاقية لجنوده في المنشط والمكره، وليس القائد بالذي يتخلف عن جيشه رهباً من الموقف أو يتلذذ بصنوف النعيم الدنيوي وجنده يكابد الحر والقر. والقائد إذا ركن إلى لذة المهاد الوثير؛ حُرِم لذة المشاهد والمواقف. وبعض الرجال في الحروب غثاء !

#### ✍ استشارة الجنود

في وادي ذِفْران [وهو يبعد عن المدينة المنورة نحو مائة كيلو متر]، وكان في هذا الوادي المجلس الاستشاري الشهير لمعركة بدر - بلغ النبي - ﷺ - نجاة القافلة، وتأكد من حتمية المواجهة، فإما القتال وإما الفرار.. فاستشار، فجمع الناس ووضعهم أمام الوضع الراهن، وقال لجنوده: "أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ ! " .. ورددوا مراراً، وما زال يكررها عليهم، فيقوم الواحد تلو الآخر ويدلو بدلو، فقام أبو بكر

(١) ابن هشام ٢ / ٣٨٩ وحسنه الألباني في تحقيق فقه السيرة ١٦٧ .





فإذا عزمت، وجمعت فريقك على مائدة الشورى، فاصدق الله في قصدك، وأسأله أن يصفي ذهنك، وأن ينقح فكرك، وأن يثقف عقلك، وأن يهذب خلقك، وأن يهديك إلى خير الأفكار، وخير الأحوال، وخير الحلول، وأن يكفيك الشواغل العارضة، والقوى المتقسمة، والمصائب الباغية، واستعذ به من استوحاش الفكرة، وجود العقل، وصعوبة الحسم، وضعف العزم.

وعلى مائدة الشورى، إياك والجلوس رثاء الناس، واحذر السُّمعة، وحب الشهرة، والنَّفج والاستطالة، والتكبر على إخوانك والمغالبة، والغرور بالرأي والمجازبة، وعليك على ذلك بالمجاهدة، والانبئات إلى الله والمسارة، وإياك وقولة: قد قلت لكم رأي، ونصحت لكم، فخالقتموني فحفتهم وفشلتهم، فذوقوا وبال أمركم !!! فما تمخضت عنه الشورى خير، هو من اختيار الله، ومن اختلف في الفروع لم يؤثم، ومن اختلف في الأصول - لا شك - يُحَوَّب. والرجل الحائر البائر المقبوح المشقوق، هو الذي يشير على أهل الرأي! ولا يقبل منهم رأي، فدوماً يرى أن رأيه هو الرأي، وما عداه فساد محض!

الثقة في القيادة.. (امض لما أمرك الله !)

وتأمل القولة التاريخية لسعد بن معاذ ، التي قال فيها :

" فَاَمْضِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَا أَرَدْتَ فَنَحْنُ مَعَكَ ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخُضْتَهُ لَخُضْنَا مَعَكَ ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ وَمَا نَكَرَهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا عَدُوَّنَا غَدًا ، إِنَّا لَصَبْرٌ فِي الْحَرْبِ صُدُقٌ فِي اللَّقَاءِ . لَعَلَّ اللَّهَ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقْرُبُ بِهِ عَيْنُكَ ، فَيَسِّرَ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ " (١).

فامض يا رسول الله لما أردت، فنحن معك ...

فسر بنا على بركة الله ..

فهي ثقة الجندي في قائده، وثقة الطالب في شيخه، وثقة المسلم في أميره، ثقة ممزوجة بالاطمئنان العميق، والحب في الله.



### تبشير الجنود وبث الثقة فيهم

سُرَّ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بِقَوْلِ سَعْدٍ وَنَشْطِهِ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ : "سِيرُوا وَأَبْشِرُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ ! وَاللَّهِ لَكَأَنِّي الْآنَ أَنْظُرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ !!"<sup>(١)</sup>

وفي اليوم السابق ليوم بدر مشى - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في أرض المعركة وجعل يري جنوده مصارع كبار المشركين واحداً واحداً .

وَجَعَلَ يُشِيرُ بِيَدِهِ : هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ - وَوَضَعَ يَدَهُ بِالْأَرْضِ - ، وَهَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ ، وَهَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - ، فَمَا تَعَدَّى أَحَدٌ مِنْهُمْ مَوْضِعَ إِشَارَتِهِ . فَعَلِمَ الْقَوْمُ أَنَّهُمْ يَلَاقُونَ الْقِتَالَ ، وَأَنَّ الْعِيرَ تُفْلِتُ وَرَجَوْا النَّصْرَ لِقَوْلِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

قال أنس : "ويضع يده على الأرض هاهنا هاهنا . فما ماط أحدهم عن موضع يد رسول الله"<sup>(٢)</sup> .

وقال عمر : "فوالذي بعثه بالحق ! ما أخطؤوا الحدود التي حد رسول الله"<sup>(٣)</sup> .  
وقوله - ﷺ - لعقبة بن أبي معيط - لعنه الله - : "إِنْ وَجَدْتُكَ خَارِجَ جِبَالِ مَكَّةَ قَتَلْتُكَ صَبْرًا"<sup>(٤)</sup> ، فحقق الله تعالى ذلك .

وأخبر النبي - ﷺ - بمقتل أمية بن خلف . وقد قال سعد بن معاذ لأمية عندما ذهب إلى مكة قبيل بدر : يا أمية ، فوالله لقد سمعت رسول الله يقول : "إنهم قاتلونك" ففزع لذلك أمية فزعا شديداً .

ما أعظم القائد الصامد المبشر ! وما أكرمه هو بيبث روح الثقة في جنده ، وينشر روح التفائل في جيشه ، ويصب جوامع الكلم الطيب في القلوب ، كالمنظر الهائل على السيول ، فيذكرهم بشاره الله لعباده ، وجنة الله لأوليائه ، والمجاهدون أعظم الأولياء ، رفقاء الرسل والأنبياء !

(١) ابن هشام (١ / ٦١٥) .

(٢) ابن القيم : زاد المعاد ٣ / ١٥ .

(٣) البيهقي : دلائل النبوة (٢١) .

(٤) أخرجه مسلم (٢٨٧٣) .

(٥) الصالح ٤ / ١٨ .

(٦) البيهقي : دلائل النبوة : ٢١ .

✍ احترام آراء الخبراء والجنود :

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - مشجعاً - : "لَقَدْ أَشْرَتْ بِالرَّأْيِ".

(۲) ابن هشام - ۱ / ۶۲۰ .

### ﴿ حماية القائد وتأمين مقر القيادة: ﴾

فقد قال القائد الإسلامي سعد بن معاذ - مبيناً أهمية تأمين سلامة القائد والقيادة - :  
 " يا نبي الله، ألا نبني لك عريشاً [من جريد] تكون فيه نعد عندك ركائبك [ أو رواحك]، ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا، كان ذلك ما أحيينا، وإن كانت الأخرى، جلسنا على ركائبك، فلحقنا بمن وراءنا، فقد تخلف عنك أقوام - يا نبي الله - ما نحن بأشد حباً منهم! ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم يناصحنك ويجاهدون معك" (١).

فأثنى عليه رسول الله - ﷺ - خيراً، ودعا له بخير.

﴿ وقال مبشراً : "أو يقضي الله خيراً من ذلك يا سعد!" (٢). ﴾

ثم بُني لرسول الله - ﷺ - عريشاً على تل مرتفع يشرف على ساحة القتال استجابة لمطلب سعد - رضي الله عنه - .

وكان فيه أبو بكر، ما معها غيرهما (٣).

كما تم انتخاب فرقة من جنود الأنصار بقيادة سعد بن معاذ لحراسة مقر القيادة - عريش النبي - ﷺ (٤).

لا خير في جنود لا يهتمون بسلامة قائدهم، ومقر قيادتهم، لا خير فيهم إلا لم يتهاكوا في حفظه ويتضامنوا في حمايته، بترسيخ الحواجز والموانع التي تحول بين العدو والقيادة الإسلامية، فإذا خلص العدو إلى مقر القيادة، ملك العدو زمام المعركة ..

### ﴿ حسن الظن بالإخوان ﴾

وذلك في قول سعد بن معاذ للنبي - ﷺ - عندما اقترح عليه فكرة العريش، قال

سعد - في رواية - :

إنا قد خلفنا من قومنا قوماً ما نحن بأشد حباً لك منهم . ولا أطوع لك منهم، هم رغبة في الجهاد ونية، ولو ظنوا - يا رسول الله أنك - ملاقي عدواً ما تخلفوا، ولكن إنما ظنوا أنها العير (٥).

(١) السهيلي ٣ / ٦٣ .

(٢) الواقدي ١ / ١٧ .

(٣) ابن الأثير: أسد الغابة ٢ / ١٤٣ .

(٤) انظر: ابن هشام ٢ / ٢٣٣ .

(٥) الواقدي ١ / ٤٩ .



### دعاء القائد لجنده :

لما عدّل رسول الله - ﷺ - الصفوف ورجع إلى مقر القيادة، فدخله ومعه فيه أبو بكر الصديق، ليس معه فيه غيره، إذا برسول الله - ﷺ - يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول فيما يقول : " اللهم أنجز لي ما وعدتني .. اللهم آت ما وعدتني .. اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض!! " (١).

وبالغ في الابتهاال، فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فاتاه أبو بكر فآخذ رداؤه فآلقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال : " يا نبي الله ! كفأك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك " ... ثم انتبه فقال " أبشر يا أبا بكر ! أتاك نصر الله ! هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده، على ثيابه النفع " (٢).

وكان من دعاء النبي - ﷺ - ما ذكره علي بن أبي طالب، حيث قال : " لما كان يوم بدر قاتلت شيئاً من قتال، ثم جئت مسرعاً إلى النبي - ﷺ - لأنظر ما فعل، فإذا هو ساجد يقول : " يا حي يا قيوم "، لا يزيد عليهما، ثم رجعت إلى القتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك، ثم ذهبت إلى القتال. ثم رجعت وهو ساجد يقول ذلك. " (٣).

و نظر رسول الله - ﷺ - إلى المشركين وتكاثرهم وإلى المسلمين فاستقلهم، فركع ركعتين، وقام أبو بكر عن يمينه، فقال رسول الله - ﷺ - في صلاته : " اللهم لا تودع مني، اللهم لا تحذلني، اللهم أنشدك ما وعدتني " (٤).

وكان من دعائه كذلك لجنوده : " اللهم إنهم حفاة فاحملهم، اللهم إنهم عراة فاكسهم، اللهم إنهم جياع فأشبعهم " (٥). قال عبد الله بن عمرو : ففتح الله له يوم بدر فانقلبوا حين انقلبوا وما منهم رجل إلا وقد رجع بجمل أو جملين واكتسوا وشبعوا. فالقائد كالأب يحنو على أولاده، كالظليم يظل على أفراخه، يرفع يديه ضارعاً، خاشعاً، داعياً، بأدعية خاشعة تستنزل لجند الله الرحمات والبركات . يستغفر لهم،

(١) أخرجه مسلم (٣٣٠٩) .

(٢) السهيلي ٦٨ / ٣ .

(٣) الصالحى ٣٧ / ٤ .

(٤) الصالحى ٣٨ / ٤ .

(٥) أخرجه أبو داود (٢٧٤٧)، وحسنه الألباني.



يصلي عليهم، يدعو لهم، فالقائد ليس كالترس القائد - في صندوق التروس - لا حس فيه ولا حراك، ولا شعور فيه ولا إحساس، يقود تروسه بشكل ميكانيكي جامد جاف، بل القائد روح بين جنوده تحييهم، ورباط وثيق يجمعهم، وهو القلب الكبير وهم أعضائه، وهو الأصل الأصل وهم فروعهم وأفئذهم، وهو أرحم الناس بهم ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣].

وأخيراً ..

العلاقة بين القائد وجنده، علاقة أساسها الإيمان، وعمادها الإخوة، وأركانها الشورى والطاعة والمشاركة والثقة.

مدارسة سورة الأنفال

